العائله وقصص أخرى

مازن مرسال

العائله وقصص أخرى

مازن مرسال

تدقيق لغوي : محيي الدين حسن

تصميم الغلاف : عبير محمد

دار فصلة للنشر والتوزيع

٧٧ ش - صلاح الدين عبد الكريم - متفرع

من عثمان محرم - هرم - جيزه

.٢٣٥٦٢٩٣٦٩

fasla,pub@gmail,com

FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٩

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

العائله وقصص أخرى

(حكايات إنسان)

مازن مرسال

فصلة
للنشر و التوزيع
Fasla Publishing & Distribution

إهداء

إلى كل إنسان بسيط، أعلن غيابه عن الأرض، وقرر أن يعيش في الهامش ونعيمه، ليحافظ على جمال روحه وقناعاته وإيمانه.

إلى كل من كتبوا عن بساطته وفقره وصراعات نفسه، وكل من يكتبون ومن سيكتبوا عنه حتى لا يُنسى في الهامش.

إلى من أحبوا قراءة حكاياته بما فيها من طرافة وبؤس، ليضحكوا معه قليلًا وليبكوا معه وعليه.

أهدي لكم جميعًا بعض من حكاياته....

حكايات إنسان

مازن مرسال

الضيوف المزعجين

لم يكن هؤلاء الضيوف المزعجين يمثلون أي إزعاج لفرد الأمن الجالس أمام أحد مباني مدينة الإنتاج الإعلامي، والذي رفض دخولهم للتوجه إلى أستوديو قناة «مصر بلدنا» لشكه فيهم بسبب مظاهرهم شديدة التواضع. حيث أنه قد وضع سماعات في أذنه ولم يسمع شكواهم التي دامت لنصف ساعة دون حتى أن يعيرهم أي انتباه. ولكن الإزعاج الحقيقي هو الذي سببوه لمقدم برنامج «صوت الغلابة» في نفس القناة، فماذا فعل هؤلاء الأشقياء لينالوا صفة «الضيوف المزعجين» بجدارة؟

الأخ جابر الجرجاوي، أو تستطيع أن تنعته بعم جابر؛ لكثرة انتشار اللون الأبيض في شعر رأسه. ربما لأنه يبلغ من العمر ٤٧ عامًا، أو بسبب الهموم متتالية السقوط فوق رأسه. يعيش جابر مع ابنه سعد وابنته الطفلة فرح في بيت صغير في جرجا بمحافظة سوهاج. أما زوجته فقد كسبت قضية الخلع التي رفعتها ضده بسبب فقره الشديد، وتزوجت رجل من المركز، إلا أنها فكرت أن تعود إليه بعد أن اشترى كشك متواضع على الطريق العام، وبعد أن اشتراه بيومين اشترى تلفزيون أبيض وأسود، فظنت أنه سيكون غنيًا في وقتٍ قصيرٍ جدًا.

كما حجز لابنه سعد عند طبيب شهير ليجري جراحة في ساقه جراء حادث سيارة تعرض له منذ شهرين، أما فرح فعادت إلى المدرسة بعد انقطاع فصل دراسي كامل ومعها حقيبة مدرسية جديدة اختارتها بنفسها لأن عليها صورة «باربي».

وبالرغم من استطاعته إدخار ٣٥٠ جنية في أسبوعين إلا أنه اضطر أن ينفقهم وزيادة في مكالمات برنامج «صوت الغلابة»، وفي مشاويره إلى القاهرة والجيزة ليظهر مع ثروت الشافعي الإعلامي الشهير ليحكي له على الهواء عن مأساته.

فبعد أن أزالت الحكومة الكشك أزالت معه كل شيء، وعاد جابر إلى الصفر بالإضافة إلى ساق مكسورة وحقيبة باربي الجديدة التي استغلوها للسفر بعد ذلك.

أثناء انتظار عم جابر وطفليه أمام مبنى القناة رن أخيرًا هاتف فرد الأمن فانتفض من كرسيه ورد : نعم يا أفندم، موجود أمامي، وصل للتو سعادتك،

حاضر.

ثم قال لجابر: اصعد للدور الثاني.

وكان مستمرً في النظر إليهم باشمئزاز بسبب هيئتهم التي تأذت كثيرًا من السفر من سوهاج إلى القاهرة. صعدوا إلى مقر القناة ليقابلهم أمن الأستوديو بنفس نظرة الاشمئزاز واضطر أن يدخلهم بحسب التعليمات.

كان عم جابر رجلًا حساسًا رغم أنه أُمي، و ملامحه مثيرة للتجاهل، وملابسه جديدة وسليمة لولا إصابتها بالفعارة والعرق، أما صندله فهو بال وأصابع قدميه مغطاة بالتراب ، مما أعطى عنه تلك الانطباعات السلبية. إلا أنَه تجاهل الاشمئزاز من وجوه سمراء جادة الملامح هو يعرف جيدًا أن أصلها من الصعيد أيضًا، غير أن جرثومة المدينة قد أفسدت شيئًا بداخلهم، فتبرأوا من ابن عمهم وطفليه.

أجلس معد البرنامج جابر وطفليه على أريكة الضيوف، وقال لهم: بعد قليل سيأتي أستاذ ثروت.

كانوا يشعرون بالجوع، خاصة وأن آخر مرة أكل فيها الطفلين كان منذ سبع ساعات، وكانت وجبتهم عبارة عن فطيرة مفرود فوقها مثلث جبن واحد، وقاما باقتسامها سويًا. أما جابر فلم يأكل منذ يومين تقريبًا.

بعد ساعة إلا ربع من الصمت والتحديق المتبادل بين الضيوف غريبي الشكل وفريق البرنامج دخل رجل يميل إلى البدانة، أسمر البشرة قليلًا، يرتدي بذلة كحلية ورابطة عنق حمراء. كان يُطبِق حاجبيه علامة على الغضب أو الاستياء من شيء ما، وربما علامة على الجدية. كان يمسك في يده ورقة ملونة، ينظر إليها تارة، وإلى كل من في الأستوديو تارة عدا الضيوف الذين لم ينظروا إلى أحد غيره منذ أن دخل الأستوديو.

ظل يتجول في الأستوديو وهو يقرأ في الورقة، ثم توقف فجأة وأخذ يسأل من في الأستوديو : هل مطعم «بيتزا ستار» مازال يقدم بيتزا سي فود؟

لم يجب أحد، فجلس أخيرًا على كرسيه أمام الضيوف، ثم نظر إليهم فجأة وسألهم بجدية هازئة: هل يقدم ستار بيتزا سي فود؟

ابتسم جابر وطفليه دون أن يقدموا إجابة، فقط أومأوا برؤوسهم بالرفض.

قال جابر في نفسه: هل فود هذا هو الفول الخاص بأهل القاهرة؟ أتمنى لو يطلب لنا فول معه.

صاح المخرج من خلف الكاميرا : يا أستاذ ثروت، سوف نبدأ بعد خمس دقائق.

فرد صياحه بصياح مماثل: بسرعة يا أستاذ فأنا جائع جدًا، وأريد أن أنتهي من هذه الحلقة لآكل.

أخفى ثروت منيو الطعام الذي كان يحمله خلف أوراق الإعداد، وغيَّر في ثواني ملامحه من الغضب إلى السعادة، ثم بدأ الحلقة.

أهلا بكم مشاهدينا في برنامجكم وبرنامج كل الغلابة «صوت الغلابة». في هذه الحلقة سوف نعرض مشكلة جديدة، وسوف نبحث مع صاحبها عن الحل كالمعتاد، حتى نرى مصر بلدنا وأبناء بلدنا في أحسن حال.

وضيفنا اليوم رجل بسيط لديه مشكلة كبيرة سنسمعها منه بعد أن يعرفنا بنفسه.

بدأ جابر في الحديث: لقد أزالت الحكومة الكشك الذي....

قاطعه ثروت بغضب مكتوم ونظرة حادة : عرفنا بنفسك أولًا.

ثم وضع سبابته على أذنه كأن أحدًا من فريق الإعداد نبهه إلى شيء، فعاد لابتسامته المصطنعة.

قال جابر: أنا جابر الجرجاوي، عُمري ٤٧ عام، ولدي طفلان سعد ١٥ سنة، وفرح ٨ سنوات، وأعيش في....

قاطعه ثروت: وما هي مشكلتك؟

قال جابر: لقد سألت أحد جيراني عن إنشاء كشك مثلهم، فقالو لي اشتري الكشك الخشب من النجار فلان، والبضاعة من تاجر الجُملة علان. والأهم من ذلك اذهب إلى المحامي فلان حتى يستخرج لك تراخيص الكشك حتى لا تزيله الحكومة.

ظل ثروت ينظر في منيو البيتزا كأنه يقرأ في أسئلة إعداد البرنامج.

تابع جابر: ولكنني وقعت في محامي نصاب، فقد أعطاني بعض الأوراق المزورة وقال لي إنها تراخيص الكشك، ثم أخذ مني ألفين جنية واختفى.

سكت جابر بعد خوفه أن يقول كلامًا زائدًا فيقاطعه ثروت بوقاحة مرة أخرى.

أما ثروت فأخذ يقرأ في المنيو ويتحدث بصوت منخفض: بيتزا سلامي... سوبر سوبريم... صوص الباربيكيو... حجم وسـ.. عائلي أفضل.

ثم نظر أمامه فجأة، بعد أن ضغط بسبابته في أذنه وتابع: اشرح لنا يا عم جاد..كيف تضرر أولادك من إزالة الكشك؟

لم يهتم جابر بتصحيح اسمه، فقد أثاره السؤال فأجاب متحمسًا: ابني سعد هذا يحتاج إلى عملية في ساقه بعد أن صدمته فتاة بسيارتها.

وأشار إلى ساق سعد الملفوفة في الجبس وقال له: ارفع ساقك ليراها الأستاذ يا سعد.

تباطيء سعد المُجهَد من السفر في رفع ساقه، كما أن ثروت سبقه قائلًا: مفهوم مفهوم.. أكمل.

تابع جابر: ولأننا لا نحب المشاكل، لم نرفع قضية عليها، ولم نقبل العوض. رغم أننا إذا ساومنا أهلها لأخذنا منهم أموالًا كثيرة.

قال ثروت وعيناه شبة نائمتان وكأنه بدأ يحس بالملل: لماذا؟

قال جابر: لأن الفتاة لم تبلغ من العمر ١٦ سنة، وبالتأكيد ليس معها رخصة قيادة. كما أن سيارتها فارهة، ووالدها بالطبع رجل مبسوط.

اعتدل ثروت جيدًا فوق كرسيه، وفتح رابطة عنقه قليلًا ليسمح للهواء بالدخول إلى صدره، وسأل جابر على الفور: أين صدمته الفتاة بسيارتها؟

رد جابر: في القاهرة.. في وسط البلد

تابع ثروت كالصاروخ: ومتى؟

قال جابر: منذ شهرين

التقط ثروت أنفاسه الهاربة وسند ظهره على الكرسي وقال ببرود لجابر: أتريد أن تبتز الناس يا حاج. ربما لهذه النية الخبيثة عاقبك الله بإزالة الكشك.

قال جابر بأسف: استغفر الله العظيم، ولكن من أين سأصرف على علاج ابني؟

قال ثروت في نفسه: تبًا لك يا دودي ولأمك التي دللت زيادة عن اللزوم، لقد هرب دمي

كان سر شعور ثروت بالقلق هو أن ابنته دعاء، وهي أيضًا عمرها ١٤ سنة، صدمت فتى في وسط القاهرة في وقت متأخر من الليل. ولكن ذلك كان منذ أسبوع واحد فقط، ثم هربت بسيارتها النيسان.

سمع ثروت صوت رسالة من الآي باد الخاص به، فقام بفتحه وقرأ الرسالة، ثم واصل محاورة عم جابر سائلًا: وماذا عن ابنتك؟

قال جابر: فرح طُردت من قبل من المدرسة بسبب عدم سدادنا المصاريف، ولكن بعد أن اشتريت الكشك عادت للمدرسة واجتازت امتحانات الفصل الأول، واستطعت أن أشتري لها حقيبة جديدة، ولكنها الآن انقطعت مرة ثانية؟

قال ثروت وهو ينظر إلى الآي باد: لماذا؟

قال جابر: لأنها تحتاج يوميًا عشرة جنيهات للطعام و المواصلات، فمن أين سأ...؟

قاطعه ثروت بكلام غريب: لماذا درس البالية الآن ولم ننتهي من تدريبات التنس بعد؟

سكت جابر قليلًا وحاول ربط سؤال ثروت بموضوعه فلم يجد أي رابط، ففهم أنه يتحدث إلى اللوحة المضيئة التي في يديه، وقرر المواصلة مخاطبًا الكاميرا التي بذل جهدًا ومال وكرامةً حتى يتحدث عبرها إلى خَلْق الله.

قال: كل ما أرجوه من المسئولين أن يسمحوا لابنتي بالذهاب إلى مدرسة خاصة بالقرب من البيت، بدلًا من المدرسة الحكومية البعيدة، وأن يعفوها من المصروفات حتى تنصلح الأحوال. خاصة وأنها تحب المذاكرة، وقد حصلت

على النتيجة النهائية مع أستاذ....

قال ثروت بحماس: هذه نقطة هامة. أتعرف أن كل بيت لا يسلم من صداع المدارس ومشكلاتها التي لا تنتهي؟ فأنا شخصيًا لدى ابني مشكلة في الحضور أيضًا.

ابتسم جابر بعد شعوره ببدء اهتمام ثروت به أخيرًا.

تابع ثروت بنفس نبرة الحماس: أعرف مدير مدرسة دولية قد يقدم لنا مساعدة.

ضحكت فرح طفلة جابر من السعادة حتى ظهرت أسنانها اللبنية والفراغ الذي بينها.

قال ثروت ناظرًا إلى الكاميرا: ومعنا مدير مدرسة «جولدن سينشري» الدكتور أيمن أبو الذهب. صديقي العزيز كيف حالك؟

رد د. أيمن: مرحبًا يا ولد الصعيد.

وضع جابر يديه على رأسه كإشارة للتحية، ولكن ثروت أشار إليه لينزلهما وقال: آآآآآه. أمازلت تتذكر أنني صعيدي؟

قال د. أيمن: جميع ذكرياتنا لم أنساها، هل تتذكر يا أبو السيد عندما كنت تظن أن السي فود هو نوع من أنواع الفول؟

كتم جابر ضحكه لاكتشافه جهله، وجهل مضيِّفه المتغطرس أيضًا، وقال في نفسه: وأراهنك أنه مازال يرتدي خلف تلك البذلة الغالية صديري وكالسون.

أما ثروت فيبدو أنه كان يستخدم اسمًا مستعارًا للشهرة، وكان اسمه سيد، وربما «سيد الجرجاوي». قال لدكتور أيمن: أود أن أسألك عن حضور التلاميذ في المدرسة عندك. فهل الحضور إلزاميًا أم يمكن تجاوزه؟

قال د.أيمن: هناك نسبة حضور معينة، ربما نستطيع أن نقلل منها بقدر كبير، شرط أن يثبت التلميذ في اختبارات الشهر أن مستواه جيدًا.

قال ثروت: إن ابني الصغير وائل دائم السفر إلى شرم الشيخ والغردقة وأحيانًا خارج مصر. والدته يا سيدي تريده أن يرى العالم ليكتسب خبرة. ومن الصعب أن يحضر في مدرسته طوال العام.

شعر جابر ببرودة غريبة في أطرافه صاحبها عرق غزير بدأ يتدفق من جبهته إلى رقبته وصدره. وبدت عينان فرح زائغتان يمينًا ويسارًا من القلق والترقب. لم يكونا يدركان أن ثروت سيتحدث عن ابنه.

تابع ثروت: وهل ستكرمنا في المصروفات يا أبو الذهب بيه؟ نحن أصدقاء.

قال د.أيمن: بالطبع، أنت غالٍ عندي يا أبو السِّيد. هل تتذكر عندما كنت تخلع حذائك وتسير في مياه المجاريِّ أمام المدرسة؟ هههههه

لم يجد ثروت مخرجًا من إحراج د.أيمن المتكرر سوى موضوع جابر، فسأله لتغيير الموضوع: بالمناسبة، هل تدعم المدرسة التلاميذ غير القادرين على دفع المصروفات؟

قال د. أيمن بإيجاز شديد جدًا: لا.

قال له ثروت: شكرًا د. أيمن أبو الذهب شرفتنا بمكالمتك.

شعر جابر أن رحلته قد انتهت، وأخذ يفكر في طريق العودة إلى سوهاج، أما طفلته فقد وضعت سبابتها بين شفتيها اللتان تدلتا من الحزن. وابنه سعد كان قد نام بعدما طلب منه والده أن يرفع ساقه ليراها ثروت منذ قليل، فكان الوحيد الذي تيقن أن هؤلاء لن يغيروا في أقدارهم شيء، لكنه قرر السفر طاعةً لوالده فقط.

أخرج جابر ورقة جريدة مقطوعة وقديمة من جلبيته كان يضع المال فيها، وأخذ يتظاهر بالقراءة فيها دون أن يعير ثروت أي اهتمام.

قال له ثروت: عذرًا سيد جابر، لم يكن متاحًا لنا أن نحل مشكلة ابنتك أو ابنك أو مشكلة الكشك، ولكنك تعلم أننا حاولنا المساعدة.

ثم نظر إلى الكاميرا وقال: وفي نهاية الحلقة نود أن....

قاطعه جابر بعد أن طوى الورقة بقبضة يده وقذف بها بغضب إلى الأرض قائلًا: نعم أعلم يا بيه أنكم حاولتم المساعدة، وصرت على علم بأن الفوز هذا (السي فود) ليس من أنواع الفول. وأعلم أن زوجتي لن تعود بعد علمها أني سأبيع التلفزيون، وأعلم أن الحكومة ليس لها دخل في مشكلتي، وأن القانون يتبرأ من المغفلين أمثالي، وأعلم أن ابني قد يعيش عاجزًا بقية حياته. أقول لك

شيء لا تعلمه !!

ظل ثروت ناظرًا له في عجب واندهاش دون كلام.

تابع جابر: لن أبيع حقيبة ابنتي الجديدة، ولن أجعلها لأغراض السفر بعد ذلك، بل سأشتري لها دراجة جديدة حتى تصل.

ظل ثروت محنطًا في مكانه من التعجب، حتي سمع صوت رسالة من الآي باد ففتحها وقرأ بصوت منخفض: عندي مفاجأة لك يا حبي.. لقد عدت من تدريبات التنس ومعي بيتزا بيبروني حجم عائلي.

قال سريعًا: حسنًا حسنًا. وفقك الله يا سيد جابر. وفي نهاية الحلقة نشكركم ونتمنى لكم وجبة سعيدة.

ثم خلع الميكروفون والسماعة، وأخذ الآي باد وطار بشكل لا يتناسب مع قناع الوقار الذي كان يرتديه منذ أن دخل الأستوديو. بينما ظل جابر وطفليه في مكانهم، حتى أغلقت إضاءة الأستوديو تدريجيًا حتى اختفت أسرة جابر من الصورة.

ترى ماذا فعل جابر الجرجاوي بعد أن عاد إلى بلده؟ ربما باع التلفزيون البسيط، وربما عمل في أحد محلات الفطائر والبيتزا في المركز، حيث كان مولع بهذه الأكلة الجديدة على مسمعه (البيتزا) منذ أن عرفها من ثروت في البرنامج. وربما لم يستطع علاج ابنه المكسورة أو ساوم والد الفتاة ليأخذ منه المال.

ولكن ما كان باديًا أن جابر قد عزم عليه هو أنه قرر حقًا أن يحترق حتى تكمل ابنته فرح تعليمها. فليس من الصدفة أن يكون الاسم الذي ورد في جريدة «أبناء قبلي» بعد بضع سنوات ضمن أسماء أوائل الثانوية العامة لمحافظة سوهاج هو مجرد تشابة أسماء، فكان الاسم هو «فرح جابر عليوة الجرجاوي».

البوكسر الذهبي

كانت الساعة الثامنة إلا ربع مساءً ولم يحضر أحد، حتى وضع تامر الكاتب الشاب رأسه فوق كتابه الجديد «العقل الذهبي» وبدأ في النوم. كان من المفترض أن يحضر أصدقاؤه ومعارفه حفل توقيع الكتاب في تمام الساعة السابعة.

ظل تامر نائمًا حتى أيقظه بعد ربع ساعة صوت أبناء أخته الذين حضروا مع والديهم، وظلوا يعبثون بالبالونات المعلقة في مدخل القاعة حتى قاموا بفرقعة واحدة منها، فانتشر صوت الفرقعة في فراغ القاعة وأفزع تامر فاستيقظ.

شعرت أخته بالحرج تجاه وضعه المؤسف فطلبت من أبناءها الصغار أن يأخذوا نسخ من الكتاب من فوق منضدة عليها عدد من النسخ المجانية ويطلبوا من خالهم الكاتب الواعد أن يوقعها لهم.

وبعد أن يأس من حضور العدد الغفير من القراء المعجبين بتعب سنة ونصف من البحث والكتابة غادر بصحبة أخته وزوجها فهمي والأطفال في سيارة فهمي.

قال له فهمي: يبدو أن دار النشر لم تسوق جيدًا للكتاب، إنهم حتى لم يرسلوا من الدار إلا واحد فقط ليحضر حفل التوقيع.

قال تامر وهو ينظر من شباك السيارة إلى الخارج في شرود وحزن: إنه أحد عمال المطابع وأتى لينقل لنا النسخ المجانية، ثم شرب زجاجة مياة غازية ورحل بعد أن أجبت عن سؤاله بأننا لم نحضر جاتوه.

قال فهمي: عليك أن تروج لنفسك. ساعد نفسك إن لم يساعدك أحد.

قال تامر: هل أتسول القراءة من الناس؟

قال فهمي: أليس ما تقدمه ينفع الناس؟ إذًا عليك أن تبحث عنهم لتنفعهم، لا لتأخذ منهم شيء بل لتعطيهم.

قال تامر: وماذا أفعل؟ أأنشر إعلانات في الجريدة؟

ضحك فهمي ضحكة قصيرة ساخرة وقال: الناس لم تعد تقرأ الجرائد إلا للتسلية،

أو ليتجنبوا حرج النظر إلى بعضهم في المواصلات العامة. غير ذلك لم يعودوا يصدقون ما فيها من بضاعة مضروبة. بل إتجه إلى التلفزيون.

التفت تامر إلى فهمي منتبهًا لكلامه بينما قالت أخته لزوجها باندهاش: التلفزيون مرة واحدة ! هذا سيكلفه الكثير يا فهمي.

صمت زوجها قليلًا ثم قال: كان لدي زميل في عمل سابق يعمل الآن في قسم المونتاج في إحدى القنوات المعروفة، وهو مقرب جدًا من مالك القناة شخصيًا بحكم المزاج.

سألته زوجته متعجبة: ما المزاج هذا؟

أما تامر فقد فَطِنَ مقصده وسأله مستنكرًا: كيف سيقدر صاحب مزاج عملًا ثقافيًا ربما لا يعود عليه بأي نفع؟

قال فهمي: هو صاحب مزاج ليلًا، لكنه ملاكًا مُجَنَّحًا نهارًا، وكأن النهار يحرق الشيطان الذي بداخله.

أدار تامر وجهه جهة الشباك مرة ثانية فتابع فهمي محاولًا اقناعه: إسمع. هذا الرجل يحب أن يظهر كشخص يسعى في الخير، ويساعد المحتاجين، ويشجع الشباب. ربما تكفيرًا عن نفاقه وتطبيله للمشاهير.

قال تامر: وربما لأنه على يقين بأننا نعرف مساؤه، ويريد أن يزيد من مساحيق التجميل على وجهه كي ينخدع الناس فيه.

قال فهمي مستسلمًا: جائز.

قالت أخته: الغاية تبرر الوسيلة يا تامر، ولا ضرر إن وضعت يدك في منديل ثم صافحت بها صاحب اليد الملوثة هذا.

قال لهما تامر: حسنًا سأجرب. ولكن مثل هذا التلوث لا يحجبه مجرد منديل.

ثم خفض صوته وقال محدثًا نفسه: وحتمًا سيصيبنا شيئًا منه.

في اليوم التالي إتجه تامر وفهمي إلى مقر قناة «العمق» الفضائية، وطلب

فهمي لقاء زميله السابق إسماعيل مسعود في قسم المونتاج، والذي نظم لهما لقاء ليلي في قهوة المزاج مع السيد ممتاز الكومي رئيس مجلس إدارة القناة.

في البداية رفض تامر بشدة لقاء ممتاز الكومي في قهوة ليلًا، لكن فهمي وعده أن اللقاء لن يستمر أكثر من نصف ساعة فوافق.

في المساء ذهباَ إلى قهوة «حِنكِر»، وكانت قهوة صغيرة من الداخل تتسع بالكاد لستة كراسي، وكانت الكراسي الستة من نصيب شلة «الحناكر» المكونة من ممتاز الكومي وضيوفه.

عرَّف إسماعيل تامر وفهمي بممتاز الكومي الذي سلم عليهما وهو جالس مكانه وبأطراف أصابعه مكابرةً، كأنه مراهقة خجولة. فجأة خرج ممتاز عن هدوئه وصاح مناديًا على صاحب القهوة والعامل الوحيد بها قائلًا: واجب الضيوف يا حنكر.

ظن تامر وفهمي أن واجب الضيوف هو أحد أصناف المزاج فغمز فهمي لإسماعيل حتى يغير الطلب، فوشوش إسماعيل ممتاز فنادي ثانية: واجب الكعب العالي يا حنكر.

فأخذا تامر وفهمي ينظران تحت قدميهما بينما كان إسماعيل يختلس الضحك.

وبعد دقائق حضر حنكر ومعه ثلاثة أكواب من السحلب يتوسطهم كوب ماء فوق صينية في يده اليمنى، وفي اليسرى كان ممسكًا بشيشة. أنزل الأكواب على الطاولة وهو يقول: ثلاثة بندق على كعب عالي. ووضع الشيشة بجانب ممتاز وقال: وواحد برج عظَمة العالي جدًا. ثم قام بإعدادها له وانصرف.

بدأ إسماعيل بالكلام، وقام بعرض فكرة كتاب تامر على ممتاز الكومي.

ظل ممتاز صامتًا، بينما اختفى وجهه خلف ضباب دخان الشيشة، وبعد صمت طويل قال: أمممم ... أكمل.

قال إسماعيل: هل توافق على عرض إعلان لكتاب جديد في القناة؟

قال ممتاز بعد فترة صمت مماثلة وبصوت أضعفه الدخان الكثيف الخارج من فمه: وماذا سأستفيد؟

شعر تامر بالتوتر وهز جسمه فوق الكرسي استعدادًا للرحيل، ولكن فهمي قبض بكفه على ركبته وتدخل في الحوار قائلًا: يا ممتاز بيه، الكل يعرف فضلك في مشاريع التنمية، وتشجيعك للشباب، ورعايتك للثقافة.

لقد تجاوَزَت مجهوداتك الخيرة مجهودات وزير الإعلام ذاته. أرى أنك بمواصلتك في هذا الطريق سوف تصبح وزير الإعلام يومًا ما.

ابتسم ممتاز ابتسامة خفيفة وأشرقت عيناه المقفلتان قليلًا، ثم نامتا مرة ثانية وغابت ابتسامته وقال لمصدر الصوت المادح له ببرود: أكمل

استنتج الجميع أن ممتاز قد غاب عن الوعي، ووصل إلى قمة برج المزاج، فنظر إليه تامر بغضب، وقام بمحاولة أخيرة لإفاقته، فقام بدفع الطاولة بقدمه نحو ممتاز فانسكب كوب الماء الذي كان قريبًا منه فوق بنطلونه، فقام منتفضًا وأخذ يدفع الماء عن حِجره وهو ينظر إليهم جميعًا متسائلًا في داخله عن الفاعل.

كان منزعجًا، لكنه أصبح منتبهًا لما يجري حوله وعيناه يقظتان وجسده نشط كثير الحركة فوق الكرسي من أثر البلل، فكرر فهمي كلمات النفاق التي قالها والتي لاقت استحسانًا كبيرًا لدى ممتاز الكومي، فقال لهما: حسنًا حسنًا. إنها فكرة جيدة وجديدة، ومبدأيًا ليس لدي مانع أن أذيع إعلانًا للكتاب في قناتي ولكن....

ثم نادي على حنكر بصوت عالٍ: حجر جديد يا حنكر مع تعميرة المزاج الفاجرة.

قال تامر بسرعة قبل إحضار حجر جديد للشيشة: ولكن ماذا يا ممتاز بيه؟

قال: سأتصل أولًا بمسئول الدعايا والإعلان بالقناة لأعرف إن كان هناك مساحة خالية للإعلان.

اتصل بالمسئول وهو يأخذ أول نفس من الشيشة من جديد ثم قال لتامر: لحسن حظك، هناك مساحة لإعلان واحد فقط، وستكون من نصيبك.

أحس تامر بالسعادة وأخذ فهمي وإسماعيل يهنئانه ويشكران ممتاز بيه، وقام تامر بأخذ كوب السحلب من فوق الطاولة وأخذ يشمه بارتياب قبل أن يشرب منه مجاملةً لممتاز الكومي، وحتى ينتهي منه وينصرف فورًا.

وقف ممتاز الكومي وهي يمسك ببنطلونه وقال: لا استطيع أن أجلس وأنا مبتل هكذا، ثم أخرج هاتفه من جيبه وقال: لقد وجدت الحل.. حنكور الحِدِق.

ثم قام بالاتصال بشخص، وبعد دقائق دخل القهوة شاب طويل يتدلى من فوق كتفه حقيبة صغيرة، وسلَّم على الجميع.

قال له ممتاز الكومي: سيد عرايس.. مرحبًا بديلر المزاج الأول.

قال سيد ملوحًا بيده بالاعتراض: أي مزاج وقد بدأتم السهرة الحلوة من غير الديلر الحِدِق؟ لا بأس. سأفوتها هذه المرة لأجل ضيوفك يا ممتاز بيه.

ثم أخرج علبة صغيرة من حقيبته وأعطاها لممتاز وهو يهمس في أذنه مبتسمًا. ثم دخل ممتاز خلف ستار في جانب داخل القهوة، وبعدها خرج وعلى وجهه ملامح انتشاء وقال لعرايس: ما هذا الإحساس الرائع الذي أشعر به! إنه بوكسر سحري، أفضل بكثير من الذي كنت أرتديه وبللته الماء.

قال سيد متحمسًا: الماء! هذا البوكسر لا يبتل إذا أصابته ماء.

ثم أمسك بكوب ماء وقال له: أتحب أن تجرب؟

رد ممتاز بسرعة: لا لا، لقد اقتنعت.

في هذه الأثناء قرر تامر وفهمي أن يرحلا، فغمز فهمي لإسماعيل ليمهد لرحيلهما. وشوش إسماعيل ممتاز فأومأ برأسه بالموافقة. وبعد أن مشيا خطوتين سمعا سيد عرايس يقول لممتاز: أرأيت يا ممتاز بيه... أضبط مزاجك من أعلى ومن أسفل، وأنت لا تريد أن توافق على طلبي.

قال ممتاز: أي طلب؟

قال عرايس: الإعلان.

تباطيء تامر في الحركة أثناء خروجه وأمسك بذارع فهمي ليتباطيء هو الآخر حتى يسمعا ما يقال.

قال ممتاز لعرايس: اعتبرني موافق، وسأكلم مسئول الإعلان لينهي لك الأمر.

استدارا تامر وفهمي وعادا لممتاز وقال له فهمي بغيظ متواري خلف ابتسامة

مصطنعة: عفوًا يا ممتاز بيه. هل هذا الاتفاق يلغي اتفاقنا؟

كان ممتاز قد عاد للغيبوبة ولم يرى شيئًا من كثرة الدخان وقوة الصنف، وقال ببساطة: نعم.

قال تامر: وماذا عن إعلاني؟

تدخل عرايس وقال: عفوًا. عم يتكلم إعلانك؟

قال تامر: إعلاني عن كتاب (العقل الذهبي).

أطلق عرايس ضحكة كبيرة وحولها فجأة لنظرات جادة وأخذ يسأل هازئًا: كتاب؟ أنت تقول كتاب؟ وعقل؟ وذهبي؟ أنت تهذي صحيح؟

قال فهمي: وماذا عن إعلانك يا عرايس؟

قال سيد بفخر وهو يخرج علبة البوكسر من حقيبته ويرفعها أمام وجهيهما: البوكسر المصري المتطور. أحدث صيحة في عالم الملابس الداخلية. وسننافس به أكبر مصممي البوكسرات في العالم.

ضحك ممتاز بقوة فأزاح بزفيره المندفع من فمه الدخان عن وجهه، ووقف ورفع يديه لأعلى وقال وهو يتأرجح: سمع هس. يا حنكر أغلق باب القهوة، فالآن سنبدأ المناظرة الكبرى.

ثم قام بوضع كرسيين أمام بعضهما، ووضع كرسي بينهما وجلس عليه، وقال لتامر وعرايس: اجلسا، وليتحدث كل منكما عن منتجه، ومن يقنعني أكثر بمنتجه سيفوز بالإعلان.

بدأ تامر بعرض مميزات كتابه قائلًا: كتاب العقل الذهبي، على غلافه صورة للعالم الكبير أينشتاين، والكتاب يتحدث عن أعظم علماء ومفكرين التاريخ، عن حياتهم، الصعوبات التي واجهت صعودهم، المكاسب الأدبية والمادية التي حصلوا عليها. إن فيه أكثر من عشرين شخصية في الفلسفة والعلم والفن والدين في ٣٥٠ صفحة فقط.

ضحك ممتاز ضحكة ساخرة ثم قال لسيد عرايس: وأنت، ماذا عن منتجك؟

قال عرايس: بوكسر رجالي صناعة مصرية ١٠٠٪. فيه العديد من المميزات التي لم تتوافر من قبل، فقماشته انسيابية من أسفل حتى لا تضغط على الأمور الحساسة، به فتحات من الجانبين لتطرد الحرارة الزائدة وتمنع التعرق، فيه جيوب سرية لوضع الأدوية اللازمة للمسائل العاجلة، ألوانه فسفورية لتضيء في الليل.

كما أن الدراسات أثبتت أن اللون الفسفوري يزود المسائل بطاقة تفوق طاقة الكابوريا والإستاكوزا.

ثم أشار إلى حجر ممتاز الكومي وقال: هذا بالإضافة إلى أنه ضد الماء.

قال ممتاز مقلدًا أبطال الإعلانات التجارية: هذا صحيح. إنه حقًا منتج ممتاز. وإعلاناته مُربحة.

ثم قال لتامر بجدية تنازع تأثير المزاج عليه: اسمع يا صديقي. إن الناس لا يهتمون كثيرًا بما هو فوق أعينهم. إنهم يهتمون بالعين التي ترى الجمال، وبالأنف التي تشم المشوي والمحمر، وبالفم الذي يُقبِّل ويلتهم، وبالمعدة التي تهضم ولا تشبع، وبالبوكسر الذي يساعد في المسائل العاجلة.

قال له تامر: ولكن قناتك اسمها العُمق. فأي عمق في عرض الملابس الداخلية على الناس؟

قال ممتاز: الذي سمى القناة بهذا الاسم هو والدي رحمه الله، وكان يخسر كثيرًا بسبب فلسفته المشابهة لفلسفتك، لكن لا أنكر أنه كان يحظى باحترام الجميع لا أعرف لماذا؟

ثم أخذ نفس عميق من الشيشة وقال: لدي فكرة جيدة.

انتبه تامر وفهمي عسى أن يقول ما يرضيهما.

قال: لم لا ندخل العقل الذهبي في البوكسر المتطور؟ أي أن نعلن عن البوكسر بسعر زائد عشرين جنية، ومعه كتابك هدية. وبدلًا من صورة الرجل ذو الشعر الأبيض هذا الذي يشير بسبابته إلى رأسه نضع صورة شاب يضحك بحماس وهو يشير إلى رأسه. ولكن سوف نلبسه البوكسر في رأسه ليشير إليه. ونجعل عنوان الإعلان «البوكسر الذهبي».

شعر فهمي بالاستفزاز وانطلق في وجهه: أتريد أن تستبدل العقل بالملابس الداخلية؟ إنك حقًا رجل فاسد لا تصلح أن تكون بائع جرائد.

جرَّ إسماعيل فهمي و تامر إلى خارج القهوة، وظل هو وفهمي يعتذران لتامر ويواسيانه حتى أوصلوه إلى البيت.

في اليوم التالي ، جلس تامرعلى قهوة وأمامه كتابه، لا يعرف ماذا يفعل حتى سكب صبي القهوجي الماء على بنطلونه أثناء تقديم الشاي له، فقبل تامر اعتذاره وأخذ رشفتين من الشاي ليشعر ببعض الدفء ثم رحل.

ولكن في طريقه إلى حيث لا يدري شعر بعدم الارتياح بسبب بلل بنطلونه، فبحث عن البوكسر المتطور وحاول استبداله من البائع بكتابه فلم يوافق، فاضطر لشرائه بآخر ما تبقى من مال في جيبه، واضطر أن يعود إلى البيت سيرًا على قدميه.

وبعد أن أنهكه المشي، دخل في حديقة ليرتاح فيها قليلًا، فمد جسمه على العُشب، ووضع الكتاب تحت رأسه وحاول النوم، إلا أن الكتاب لم يرح رأسه، فاعتدل واقفًا ونظر إلى الكتاب الملقى على العشب وقال له: يالك من كتاب فاشل لا يريح من أعلى ولا من أسفل. ثم تركه ورحل.

ما الشيء الذي تخفيه مريم؟

كانت الطفلة دميانة جالسة على سور سميك يحد بعض النباتات والزهور في ساحة الكنيسة وعينيها تقلبان فيما حولها من زوار الكنيسة، والصور المعلقة أو المرسومة على الجدران، وحتى العصافير التي كانت تختلس لمس الأرض بقدميها ثم تطير إلى الأشجار أو أعلى المباني.

فدميانة لم تعتاد على الجلوس بدون هاتفها المحمول، الذي اعتادت أن تطل منه على صديقاتها وعلى النجمات اللاتي هي شغوفة بمتابعتهن. حيث عاقبتها أمها بحرمانها من الهاتف لمدة أسبوع بعد أن فشلت في مهمتها التي كلفتها بها، وهي أن تجلس بالقرب من مريم ابنة خالتها ميرفت في درس الأحد الأسبوع الماضي، وأن تتابعها جيدًا، ولكنها نامت حتى أيقظتها مريم بنفسها لترحلا سويًا.

وأثناء جلوس دميانة في الساحة سمعت ما يُسمن فضولها، حيث مرت أمامها كرستين أخت مريم الكبرى واثنتان من صديقاتها من أمامها وقالت إحداهن لكرستين: ياله من شيء جميل. لقد تشوقت من كلامك لرؤيته.

قفزت دميانة فورًا من مكانها، وهمت بالخروج من الكنيسة لتخبر أمها بما سمعت ولكنها سمعت صوت مألوف لديها يناديها من بعيد. إنها ماري أختها، والتي مشت نحوها بخطوات سريعة ظلت تزداد كلما اقتربت منها حتى صارت تهرول. وحين وصلت إليها قالت لها وهي تحاول السيطرة على أنفاسها المتوترة: لقد كان أبونا يتحدث مع مريم وقال لها: بارك ربنا لك فيه.

فزاد حماس دميانة وقالت لأختها: لقد سمعت أنا الأخرى شيئًا هامًا. هيا إذًا لنخبر والدتنا بما سمعنا.

في المساء اتصلت كرستين بابن عمها وخطيبها عماد لتخبره بنيتها زيارة قبري والديها هي وأختها مريم في صباح الغد، وطلبت منه أن يصطحبهما، على أن يجهز سيارته قبل التاسعة صباحًا لينطلقوا في تمام التاسعة.

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي، سمعتا الأختان صوت كلاكسات سيارة عماد، فنظرت مريم من الشرفة لتجد عماد وأخيه الأصغر كيرلس وأبيهما يجلسون في السيارة أسفل البيت ويلوحون لها بالنزول.

قالت مريم لأختها: هل أخبرت عماد أن موعدنا الساعة الثامنة أم التاسعة؟

قالت كرستين: ربما نسي الموعد.

قالت مريم: ولكن لماذا يأتي معه عمي، وابنه المتطفل كيرلس؟

قالت كرستين: أليس والدنا هو أخيه أيضًا، وعماد وكيرلس ابني أخيه؟

قامتا بتجهيز نفسيهما سريعًا ونزلتا.

وفي الطريق قطعوا أول ربع ساعة ملتزمين بالصمت، مع التغامز بنظرات الحب عبر المرآة الداخلية بالسيارة بين عماد وكرستين التي جلست في الخلف بجانب مريم وكيرلس. بدأ ميخائيل والد عماد وعم مريم وكرستين الكلام فقال: فكرة جيدة أنكما قررتما زيارة والديكما، فإن تذكُّر الموتى يجلب البركة للأحياء. غدًا سنصير موتى وسنتمنى أن يتذكرنا من لازالوا فوق الأرض.

ظلت الفتاتان منتبهتان إلى عمهما دون أن تنطقا بشيء، فأكمل موجهًا كلامه لمريم: هل تعلمين يا مريم أننا نستطيع أن نتحدث إليهم مثلما نتحدث إلى بعضنا الآن؟ وأن نخبرهم بما يؤلمنا أو يسعدنا، أو نخبرهم بما فقدنا من أصدقاء أو أشياء، وكذلك بما وهبنا الله من نعم جديدة؟

قال كيرلس مندفعًا: ما الشيء الذي تريدين أن تخبري والديك به؟

تدخل والده فورًا بفرملة خفيفة بالسيارة لينتفض كل من بداخلها لأعلى، حينها فطن كيرلس أنه أفسد شيء وعليه أن يسكت فورًا.

قال ميخائيل: عفوًا يا أولاد. ظننته مطب صناعي.

ثم تابع: ليس من شأننا أن نعرف ماذا تريدين أن تخبريهما به. المهم أن تقولين لهما ما يسعدهما إن كنت تملكين ذلك. إنهما يسمعانك. أظن ذلك.

وقفت السيارة أمام باب المقابر، ونزلوا جميعًا وقال ميخائيل لابنيه: سوف ننتظر هنا، وأنتما يا مريم وكرستين، إدخلا لتزورا والديكما.

قالت كرستين: ألن تأتي معنا يا عمي؟

قال لها بنبرة صوت ضعيفة وهو يمسح عينه بطرف سبابته: لا. لا أريد أن أبكي.

دخلتا و بعد صمت طوال الطريق بدأت مريم تتحدث لأختها بصوت منخفض ظل يزداد انخفاضًا كلما توغلتا إلى الداخل حتى انقطع الصوت واختفتا تمامًا.

قال ميخائيل لابنيه: سأدخل لأكون قريب منهما وأترقبهما عن كثب.

دخل ميخائيل المقابر متوجهًا نحو قبري أخيه وزوجته اللذان توفيا في حادث سيارة منذ سنتين، وتركَ كرستين ذات الثمانية عشر عامًا ومريم ابنة الثماني أعوام. ظل يمشي في حارات القبور حتى اقترب من الحارة التي بها قبري أخيه و زوجته، وبمجرد أن دخل الحارة كاد أن يرتطم بالأختان اللتان قد غادرتا للتو من أمام قبري والديهما. أصيب كل منهما بفزع لحظي فسألت كرستين عمها: لماذا دخلت يا عمي؟

قال: لقد أردت أن ألقي نظرة سريعة على قبر أخي. أخبراني هل تحدثتما معهما؟

قالت كرستين: أنا لم أجد شيء جديد أخبرهما به. أما مريم فقد أخبرت أمها بشيء جديد.

انطلق ميخائيل دون أن يدري: شيء جديد؟ ما هو؟

بدا للأختان تطفل عمهما فتمنعتا عن إخباره فقالت مريم: لا شيء. مجرد أصدقاء جدد.

قال لهما وجبهته تقطرعرقًا من الخجل: جيد جدًا. هيا لنرحل إذًا.

في صباح اليوم التالي، في طابور المدرسة الابتدائية وقفت التلميذات في صمت والتزام محكم بانتظار تحية العلم، حتى كسرت ماري ابنة خالة مريم ذلك الصمت عندما ألقت بورقة من صفها إلى صديقتها منى وزميلة مريم في نفس الفصل، وكانت منى تقف في مقدمة الصف، فلاحظت كل الفتيات اللاتي خلفها مرور الورقة إليها وانحناءها لالتقاطها خلسة.

ظلت الفتيات يتهامسن خلف منى، وكان ظنهن يذهب إلى أن صاحب الورقة هو فتى ينتظر منى بفيزبته خارج المدرسة في موعد الانصراف، فظللن يتغامزن خلفها بذكر الفتى حتى نهرتهن منى بصوت أثار انتباه ناظرة المدرسة التي قالت لهن بصوت غليظ حازم: سكوت.

في الفصل واجهت الفتيات منى فقالت لهن: الورقة ليست من سامح ولكنها....

ثم سكتت فجأة ونظرت إلى مريم التي جلست وحدها ولم تقبل على منى لتعرف سر الورقة مثل بقية البنات، وقالت لها: مريم. أرجوك احضري لي حقيبتي من فناء المدرسة لأن مستر وليد توعد إذا رأني خارج الفصل فسيعاقبني.

وافقت مريم دون نقاش وأثناء خروجها لاحظت أن البنات ينظرن جميعًا إليها بترقب، وعندما خرجت رأتهن من خارج شباك الفصل يثرثرن في الخفاء.

فتحت منى ورقة ماري للبنات وقرأت لهن ما فيها وكان: « حاولي أن تعرفي ما الشيء الذي تخفيه مريم؟»

عادت مريم بعدما لم تجد شيء في الملعب، ودخل وراءها الفصل مباشرةً أستاذ رجائي مدرس اللغة العربية. وبينما هو يحضر السبورة للشرح أخذت الفتيات يتهامسن بغمغمة غير واضحة: مريم .. كيس .. كنز .. مريم.

سمعت مريم اسمها أثناء حواراتهن الغامضة لكنها لم تنتبه، وأخذت تنقل ما يكتبه أستاذ رجائي في كراستها، فزاد الهمس حتى صاح فيهن رجائي: يا بنات. ما هذه الضوضاء؟

مشت إليه منى وأخذت تتحدث بالقرب من أذنه وهي تشير نحو كراسة مريم، فنظر نحو مريم ثم ناداها بعدما تركته منى، قال لها: أحضري كراستك معك يا مريم.

أخذ يقلب في الكراسة وقال لها: ماذا كنت تكتبين؟

فأجابته: كنت أنقل الدرس.

فاقترب من رأسها وقال بهدوء: خمسة درجات أعمال السنة سأضعها كاملة لك.

ثم أغضض من صوته إلى حد الوشوشة وقال لها: ها. هل تريدين أن تقولي شيء لمعلمك الذي يهتم بك ويقدرك؟

ارتابت مريم من تصرفه فقالت له: نعم. أريد كراستي لأكمل نقل الدرس.

عاد برأسه للخلف وقال لها بصوت مسموع وهو يعطيها الكراسة: تريدين قول ذلك فقط؟

قالت وهي تأخذ كراستها: نعم فقط.

ثم عادت إلى مقعدها.

في مساء ذات اليوم، وليس كعادتها معظم الوقت، خرجت مريم إلى الشرفة لتذاكر فيها، فرأت جارتها أم فرحات ثرثارة الشرفات كما يطلقون عليها، والساكنة في البيت المقابل لبيتها، حاولت أن تعود عن قرارها الذي رأت أن توقيته خاطئًا لكن أم فرحات اقتنصتها بعينيها ونادت عليها فورًا: مريم. كيف حالك يا حبيبتي؟

قالت لها مريم وهي تنظر في أوراق المذاكرة مدعية الانشغال: بخير الحمد لله.

سألتها أم فرحات: وأختك بخير؟

قالت مريم: الحمد لله.

قالت أم فرحات: منذ يومين سمعت صوت ضجيج في البيت. خير إن شاء الله؟

قالت وهي تنظر نحوها: لا شيء. كنت أنا وكرستين نضحك بصوت مرتفع.

قالت أم فرحات: أسعدكما الله دائمًا. وعلام كنتما تضحكان؟

نظرت مريم إلى عينيها بقوة ولم ترد.

فتابعت أم فرحات: حسنًا يا حبيبتي. كنت أريد الاطمئنان عليكما.

ثم استئذنت مريم ودخلت. بعدها مباشرةً نادت أم فرحات عليوة صبي القهوجي وأشارت إليه للصعود، فصعد إليها ثم نزل ومعه طبق مغطى بورقة بيضاء، ثم صعد إلى البيت الذي تسكن فيه مريم.

أخذ يدنو من باب شقتها حتى وقف خلفه ووضع أذنه على الباب، لم يسمع شيء فقام بطرق الباب لتفتح مريم فقال لها وهو يقلب بعينيه في الشقة

بشكل ملفت: أم فرحات ترسل لك السلام، وتهدي لك طبق الأرز باللبن هذا.

أخذت مريم منه الطبق وشكرته، لكنه ظل ينظر إلى داخل الشقة حتى أخذت مريم تغلق الباب رويدًا رويدًا حتى اضطرت إلى إغلاقه في وجهه.

وضعت طبق الأرز باللبن فوق الطاولة ثم دخلت حجرتها، وقامت بإخراج شيئًا من تحت سريرها، ثم نظرت خلفها نحو باب الشقة وأعادت الشيء الذي أخرجته مكانه ثانيةً، وخرجت لتغلق باب الشقة بالمفتاح، ثم أغلقت باب غرفتها بالمفتاح، ثم أخرجته مرة ثانية، وأخذت تنظر إليه بشغف عشوائي حائرة من أين تبدأ تأمله.

بدأت تلمس سطحه ببطء كأنها تتذوق شطيرة شهية لا تريد أن تنهيها، دنت من سطحه ووضعت أنفها عليه، أخذت تشمه من أوله إلى آخره ومن يمناه إلى يساره، ثم وضعت صفحة خدها عليه وأحاطته بذراعيها الضئيلين، وأغمضت عينيها تاركة الدموع تنساب إليه ماسحة التراب الذي كان يغطيه. إنه الصندوق الذي أرسله إليها جدها.

بدأت القصة عندما وصل في أحد الأيام مندوب توصيل إلى الشارع الذي تسكن في معظم بيوته عائلة إبرام، فكان يعيش فيه جمال إبرام والد مريم وكرستين، ومعه زوجته وابنة عمه ميرفت، وكذلك أختها ماجدة والدة ماري ودميانة، وكذلك ميخائيل أخو جمال ووالد عماد وكيرلس.

وقف مندوب التوصيل في منتصف الشارع وبيده كيس أسود كبير، بداخله شيء مربع الشكل تخترق حوافه الذهبية الحادة الكيس وتطل إلى الخارج لتثير جنون الفضوليين والطامعين بشأن ما بداخله.

نادى المندوب بصوت عالٍ ومرات متتالية وهو ينظر في ورقة صغيرة: «مريم جمال». وبعد فترة من النداء وعدم الرد أقبل عليه عليوة صبي القهوجي وقال له: هي تسكن في هذا الشارع لكن يبدو أنها ليست هنا الآن. هل تريد شيء؟

قال له المندوب: أريد أن أسلمها شيء.

نظر عليوة إلى الكيس وقال: هذا الشيء؟ أعطني إياه وسوف أوصله إليها.

مد عليوة يده نحو المندوب الذي أبعد الكيس عن عليوة بمسافة كبيرة وقال

له بقلق: لا أستطيع. هناك تشديد على تسليم هذا الطلب إلى صاحبه يدًا بيد.

ابتعد عليوة عن المندوب ببطء حتى جلس على أحد كراسي القهوة وهو يمسك بذقنه وينظر إلى الصندوق بينما تابع المندوب النداء.

أتاه هذه المرة عماد ابن عمها وطلب منه استلام الكيس، لكن المندوب رفض وقال له نفس الكلام. ثم أرسلت ماجدة خالة مريم ابنتها ماري ، وبعدها ذهبت إليه بنفسها فكان رد المندوب عليهم جميعًا واحدًا.

لم يجد المندوب ردًا من مريم، وكان قد أرهقه حمل الكيس طوال تلك المدة، فوضعه على الأرض وأفلته من يده، ففُتح الكيس قليلًا وأخذ المندوب ينظر إليه من الداخل، فوجد سطح من الخشب الزان العتيق مرصع بفصوص من الزمرد، ومنقوش فوقه صورة لفارس يمتطي جوادًا غاضبًا ويسلط سيفه نحو وحش ممد تحت أقدام حصانه. وفي وسط السطح مقبض مطلي بالذهب، وعلى اطرافه الأربعة فصوص من الكريستال التي ظلت تزداد بريقًا كلما فتح الكيس أكثر وتعرضت لضوء النهار.

كانت أيدي المتطفلين هي التي تشد أطراف الكيس ببطء لم يلحظه المندوب المشدوه من جمال الصندوق الذي يشبه صناديق الكنوز في الأساطير، حتى أتت يد صغيرة قامت بلملة أطراف الكيس قبل أن يُكشف الصندوق بالكامل، ثم قبضت على أطراف بقوة بيديها الاثنتين وقالت: أنا مريم جمال، ثم قامت بجر الصندوق على الأرض حتى وصلت إلى باب البيت، فأخذت تجره على السلم حتى اختفت عن نظر سكان الشارع المتجمهرين، والذين كان من بينهم أهلها الذين سعوا بعد ذلك لمعرفة سر هذا الصندوق.

وعندما وصلت إلى البيت أغلقت الباب بإحكام، وقامت بفتح الصندوق لتخرج أغلى ما تمنت أن تملك، والذي قد لا يمثل أي قيمة في عيون كل هؤلاء المتطفلين. فكان فيه متعلقات أبيها وأمها منذ طفولتهما التي احتفظ بها جدها حنا إبرام والد أمها، بالإضافة إلى بعض متعلقاتهما التي كانت معهما أثناء الحادث وقد تسلمها الجد من المستشفى بعد ذلك.

وكانت المتعلقات عبارة عن قلادة أمها في وجهيها صورتي مريم وكرستين وهما رضيعتين، وقلم حبر أحمر لوالدها جمال عزيز إبرام مدرس أول تاريخ بمدرسة الصفوة، ودمية وجهها مغطى بلون القلم الجاف الأزرق وبدون ذراعها الأيمن

كانت لأمها وهي صغيرة، وحذاء أبيها عندما كان عمره عام واحد، وصور زفاف والديها وفيه كل العائلة التي اختلفت ملامحها كثيرًا عن الملامح البريئة التي كانت بالصور آنذاك.

أرسل جد مريم الصندوق إليها من دار المسنين الذي عاش فيه منذ وفاة ابنته وزوجها. وبعد أن خشي عليه من السرقة في الدار، كتب إليها جواب ووضعه داخل الصندوق فيه: «الآن جاء دورك يا أميرتي لتحافظي على أغلى ما ملكت وما تملكينه الآن، بعد أن شبت وفارقتني قوتي ولم أعد أقدر على الدفاع عنه. لا تظنين أن أغلى شيء هو ذلك الصندوق الذي ورثته عن جد جدي، ولكن ما فيه هو أغلى منه بكثير. إنه الذكريات يا طفلتي، ذكريات الأحباب الذين فارقونا، والذين نحاول أن نثبت لهم وفائنا بالاحتفاظ بما تتخلله أرواحهم من أشياء تافهة لدى الآخرين، حتى يعيشوا دائمًا بيننا، وحتى نعيش نحن الآخرين طويلًا لمن يَخلُفنا عندما نموت.

فالسر في الذكريات يا طفلتي، ولا نستطيع الحفاظ عليها إلا بجعلها سرًا له قداسته وحرمته، فنخفيها ونشدد على كتمانها حتى يظنها الآخرون كنزًا عظيمًا كما نظنها نحن».

تبرعوا لمدينة جولدن لاند

ظل حشمت بيه فهمي ناظرًا إلى صورة برج إيفل المثبتة في حجرة الاجتماعات طوال ساعتين مدة اجتماعه مع مديرين الإدارات بشركته « oversaes economy» عدا بعض اللحظات التي كان يضطر للنزول بعينيه إليهم عندما ينطقون باسمه متحدثين إليه أو عنه.

كان لا يطيق النظر إلى وجوههم التي تخيلها شبيهة بالقُلل المزخرفة على واجهاتها صور آدمية. كان عندما يضطر أن ينظر إليهم ينكمش أنفه كأنه يشم رائحة سردين فاسد، لذلك كان يسرع بالسفر بعينيه إلى برج إيفل عندما تسنح الفرصة، ويظل يتأمل أضواءه اللامعة، والألوان الجذابة المتناسقة المنبعثة من طوابقه، وكان يقول في نفسه: أتمنى لو أعيش يومًا في هذا البلد وأرى الوجوه ناصعة البياض بدلًا من قطع الحديد المصابة بالصدأ التي أراها يوميًا هنا.

أخيرًا انتهى الاجتماع وانطلق حشمت إلى مكتبه وهو يمسك هاتفه بقبضة قوية وينظر إلى شاشته بغضب دون أن يلتفت إلى أي دعابة عابرة أو كلمة مجاملة بسيطة من الموظفين حتى وصل إلى مكتبه. ألقى بالهاتف على المكتب ووقفَ في شرفة مكتبه الواسعة ليشم الهواء. كان مكتبه يطل على ميدان التحرير بالقاهرة ، وكانت الساعة حينئذ الثانية ظهرًا وقت ازدحام الميدان بالسيارات والمارة والباعة الجائلين. اعتلت أصوات السيارات والناس لتصل إلى شرفة مكتب حشمت.

أخذ يراقب بسخط هؤلاء الغوغاء الذين يدمرون رومانسية فترة استرخاؤه بضوضائهم. وجد سائق تاكسي يمسك بطرف فانلة سائق ميكروباص الداخلية التي أخرجها من قميصه أثناء شجارهما وصياحهما، بعد ارتطام ذيل سيارة الأول بمقدمة سيارة الآخر. ووجد سيدة أربعينية تشبك يديها بيدي طفليها عن يمينها وعن يسارها، وأحدهما يمسك حلقة سميط بيده، وكانت تفاصل مع بائع السميط ثم تركته ورحلت، فنادى عليها بكل قوته، ثم استمر في الحسبنة والشكوى حتى بعد اختفاء السيدة وطفليها خلف زحام السيارات. ووجد عربية حنطور مثبت في خلفها سماعة كبيرة تصدر موسيقى شعبية صاخبة، وكان يجلس فيها عريس وعروس، وخلفها عدد غفير من الدراجات النارية تطلق الكلاكسات بشكل مستمر احتفالًا بهما. ووجد امرأة شابة تعبر الطريق وعلى صدرها طفل رضيع يصرخ بصوت مرتفع يتجاوز أصوات كلاكسات

السيارات، فتزيد السيارات من صوتها لتغطي على صوته، فيزيد الرضيع من صراخه عنادًا معها.

صاح حشمت لأم الطفل: أنتِ أيتها المرأة. أسكتي طفلك قبل أن تُجرح حنجرته. وأنت أيها الطفل العنيد استَسلم ولا تعاندهم، فالكثرة تغلب الشجاعة.

لم يسمع حشمت حتى صوته الذي فُقد بين موجات الضوضاء بمجرد أن خرج من فمه، فقرر هو الاستسلام وأغلق باب شرفته وعاد إلى مكتبه وهو يقول بغضب: ما هذه الزريبة التي تحيط بي؟ ما أتعسك يا حشمت يا فهمي! ترى داخل شركتك قُلل وخارجها كائنات غريبة تتغذى على التلوث.

أخذ يفتش عن شيء فوق مكتبه، ثم ضغط بقوة وعدة مرات على زر فوق مكتبه فدخل سكرتيره كمال، قال له حشمت: أين ريموت التلفزيون يا كمال؟ أحضره لي فورًا.

أخذ كمال يبحث عن الريموت حتى وجده، وقام بتشغيل التلفزيون ثم أعطاه لحشمت. أخذ حشمت يقلب في القنوات وهو يحدِّث كمال: لقد سئمت من هذه البلد يا كمال، لم تعد تليق بالمستوى الحضاري الذي أحلم بالعيش فيه.

رد كمال: هانت يا حشمت بيه، لم يتبقى سوى خمسة أشهر وينتهي مشروع المدينة المتكاملة.

أراح حشمت ظهره على الكرسي وهو يطلق زفيرًا كبيرًا ويقول: آآآه يا كمال. لقد ذكَّرتني بالمدينة الحلم المؤسسة على الطراز الفرنسي، المكان الذي لا يعيش فيه سوى البشر المتحضرين وليس أشباه البشر.

قال كمال: لهذا أطلقوا عليها اسم أرض الذهب «جولدن لاند»، فالذهب للذهب حشمت بيه.

ابتسم حشمت وأخرج سيجار من علبة ذهبية اللون فوق مكتبه وأشعلها وقال لكمال وهو يطلق الدخان من فمه: بالمناسبة أريدك أن تحول مبلغ خمسة ملايين جنية إلى حساب المدينة كدفعة أولى لفيلتي الجديدة. انتبه يا كمال هذه الدفعة هي الأهم حتى يعلموا أني جاد.

قال كمال: اعتبره حصل سعادتك.

قال حشمت: إذهب أنت الآن، لقد بدأت أعصابي في الاسترخاء.

قال كمال: هناك موضوع صغير أريد تذكير سعادتك به.

قال حشمت وهو يراقب حلقات دخان سيجاره المتصاعدة لأعلى: ما هو؟

قال كمال: كما تعرف سيادتك أن رجال الأعمال يساهمون في الأعمال الخيرية من باب الثواب أو من باب تسليط الأضواء عليهم، البيزنس يحب الشهرة.

قال حشمت وهو مازال يراقب دخان سيجاره: ثم ماذا؟

قال كمال: لو أخرجنا مبلغ صغير تبرعًا لأي مستشفى خيري فذلك سوف يفيدنا كثيرًا.

قال حشمت: حسنًا.أخرج عشرة آلاف جنية لأي مستشفى.

قال كمال: عشرة آلاف مبلغ قليل جدًا لا يليق باسم حشمت بيه فهمي. بل مائة ألف.

انتفض حشمت من كرسيه وألقى بسيجاره في مطفأة صغيرة وعنَّفه قائلًا: هل جننت؟

تراجع كمال خطوتين عن مكتب حشمت ثم قال له: هذا في مصلحتنا سيادتك صدقني. وسوف يأتينا من وراءه مبلغ أكبر بكثير.

جلس حشمت والتقط سيجارُه ثانيةً وقال لكمال: حسنًا. لنرى إلى أين ستذهب بنا يا سي كمال. إذهب الآن.

أخذ يقلب في التلفزيون دون أن يقف على قناة بعينها حتى انتبه لإعلان تبرعات لمستشفى أطفال. كان يظهر فيه طفل مغروس في كفه إبرة موصولة بأنبوبة محاليل متصلة بكيس جلوكوز، ويقف أمام باب حديدي، وخلف الباب يوجد سرير مفروش بملائات بيضاء وعليه وسادة خضراء ، والطفل يقبض على قضبان الباب السميكة وينظر إلى السرير بحزن ومعلق الإعلان يقول: تبرع لمهاب حتى يصل إلى سريره ويبدأ العلاج. بدون تبرعك ألف باب سيحول بين مهاب وبين الحياة»

قال حشمت: يا إلهي. يا له من طفل مسكين لم يجد سرير ليرتاح فيه من ألم المرض ويبدأ العلاج من مرض صعب. لم يرى القرود التي أنجبتها وهم يرفضون النوم سويًا في غرفة واحدة بها سرائر كبيرة و سجاد ناعم وتكييف أربعة حصان ومدينة ألعاب صغيرة.

ثم حول القناة لإعلان إنشاء مدينة سياحية في ضواحى القاهرة، فتذكَّر حلمه وأسند ظهره للخلف ووضع يده خلف رأسه، وأخذ يستمتع بمشاهدة حمامات السباحة ذات المياة الزرقاء الصافية، والطرق الواسعة الخالية من الناس، والحدائق الهادئة المفروشة بالأعشاب الخضراء، والسيدات الهاي كلاس اللاتي يسرن حاملات حقائب التسوق التي عليها ماركات عالمية.

قال متنهدًا: هاااه. هذه هي العيشة وإلا بلاش.

ثم أدار القناة لإعلان مستشفى آخر لمرضى القلب، ولكنه شاهد نصفه فقط ثم أدار القناة لإعلان مدينة ترفيهية في الإسكندرية، ثم أنهاه وأدار القناة فوجد شيف يرتدي زي الطبخ فقال: أخيرًا وجدت موضوع ثالثًا أشاهده ولو كان عن الطبخ.

ولكن في نهاية الإعلان قال الشيف: ولا ننسى أن نتبرع كصدقة أو كمساعدة للمرضى المحتاجين.

أغلق حشمت التلفزيون وألقى بالريموت بعيدًا وقال: ما هذه الشاشة العجيبة؟ لا تعرض إلا الأبيض أوالأسود رغم أن التلفزيون ملون.

في اليوم التالي وصل كمال إلى مقر الشركة متأخرًا ساعتين، فقد أنهى للتو مشواره إلى بيت أخته، حيث كان بينها وبين زوجها خلاف كالعادة، فقد أكرهوها على الزواج منه لأنه غني، لكنها قررت أن تتخلص منه بسلاح المرأة الفعال»النكد».

أما كمال فكان يتدخل في كل مشكلة صغيرة و كبيرة بينهما حتى لا تضيع المصلحة. وبعد أن وصل إلى الشركة كان جدول أعماله مزدحم جدًا، وكان عليه أن ينهيه حتى لا يتعرض للتوبيخ من حشمت بيه. وأولى مهماته كانت تحديد موعد مع مدير الشركة السويدية للمقاولات، وإرسال دفعة القسط الأول لحساب مدينة «جولدن لاند»، ولقاء الموظفين الجدد لتعريفهم بخطط سير العمل بالشركة، وأخيرًا إرسال مبلغ التبرعات لمستشفى الرحمة لأمراض القلب في السويس.

قرر كمال أن ينهي الأوراق التي تحتاج إلى إمضاء حشمت بيه أولًا، ثم الانطلاق إلى لقاء الموظفين الجدد، وبعدها الخروج من الشركة إلى مقر الشركة السويدية.

وضع أمامه الورقتين الخاصتين بالبنك الممول لمشروع مدينة جولدن لاند والبنك المستقبل لتبرعات المستشفى. وكان رقم حساب بنك مشروع المدينة «٨٠٠٨٠٠»، ورقم حساب بنك التبرعات(١٠٠٠١٠٠٠) وأثناء بدئه وضع أرقام المبالغ المراد تحويلها وردت إليه مكالمة من أخته تصرخ فيها من زوجها، فحاول حل المشكلة في الهاتف أثناء تأديته عمله، فقام بوضع مبلغ خمسة ملايين جنية في حساب التبرعات ١٠٠٠١٠٠٠، ووضع مائة ألف جنية في حساب مشروع المدينة ٨٠٠٨٠٠، ثم أخذ الأوراق وهو يواصل حديثه لأخته ثم وقف أمام باب مكتب حشمت بيه حتى أنهى المكالمة ثم طرق الباب ودخل.

كان حشمت بيه هو الآخر مشغولًا بمكالمة هاتفية فأمسك بقلمه بمجرد أن وضع كمال الأوراق أمامه وقلبَّها ورقة بعد ورقة ليضع توقيعه فيها. ثم أرسل كمال الأوراق إلى البنكين دون أن يشعر بالخطأ الذي اقترفه.

بعد يومين أرسل حساب التبرعات ١٠٠٠١٠٠٠ رسالة شكر إلى حشمت بيه فيها: «نعلن عن خالص امتناننا لإرسالكم هذا المبلغ الكبير، ونعدكم بأن نضع اسم «السيد/ حشمت فهمي» ضمن قائمة الشرف لدينا».

فرح حشمت واطمأن قلبه بأنه صار عضوًا داخل المجتمع الجديد البراق، وكان حاضرًا أثناء تلقيه الرسالة اثنين من رجال الأعمال الكبار، فقرأ لهم رسالة وألح عليهم في النصح بحجز شقق و فيلات في جولدن لاند. وقرأ رقم الحساب من الرسالة ١٠٠٠١٠٠٠، فوعداه بحجز شقق فيها فورًا.

ظل حشمت يروج للمدينة الجديدة والحساب الخاص بها بين رجال الأعمال، حتى أتته رسالة غريبة على هاتفه فيها: «نرجو منك سداد مبلغ أكبر في أقرب وقت ممكن لعمل التشطيبات اللازمة للطابق الأول لفيلتكم. إدارة جولدن لاند».

أصيب حشمت بذهول عميق، فنادى بهدوء مخادع على سكرتيره كمال، وأطلعه على الرسالة وملامحه ثابتة كأنه غائب عن الوعي. اتصل كمال فورًا بالبنك الخاص بجولد لاند فأخبروه أنه أرسل مائة ألف فقط.

أمسك حشمت فجأة برقبة كمال، وصرخ في وجهه غاضبًا وهو يضغط على

رقبته: أين الخمسة ملايين جنية يا لص؟

قال كمال بصوت مختنق: اهدأ يا حشمت بيه. أنا رجلك المخلص وذراعك الأيمن لعشر سنين. لقد حدث سوء تفاهم وسوف نعالجه حالًا.

سأله حشمت وهو يفلت رقبته من بين يديه: أي سوء تفاهم؟ تكلم.

حكى له عن الخلط الذي حدث بين ورقتين البنكين، فقال له حشمت: وما العمل الآن أيها الغبي؟ إن لم تحل لي هذه الورقة فسوف أسجنك.

قال كمال: يمكن أن نسحب أموالنا مرة أخرى من حساب المستشفى.

قال حشمت: وماذا عن رجال الأعمال الآخرين؟ هل نخبرهم بأنني أخطأت هذا الخطأ الفادح ونصحتهم بوضع أموالهم في المكان الخطأ؟ هذا مستحيل.

أخذا يفكران كثيرًا حتى قال حشمت: ليس هناك إلا حل واحد. أن يكون حساب ١٠٠٠١٠٠٠ هو حساب جولدن لاند وليس مستشفى الرحمة.

قال كمال: ولكن بذلك سوف تذهب أموال التبرعات إلى المدينة.

قال حشمت: بسيطة سوف نسحبها ونضعها في حساب جديد للمستشفى. اتصل بمديري البنكين ومدير المستشفى ومدير إدارة جولد لاند، وأعلمهم برغبتي الاجتماع بهم عاجلًا اليوم.

اجتمعوا جميعًا في مساء ذات اليوم في مكتب حشمت بيه، وبعد أن عرض عليهم الأمر رفض مدير المستشفى وقال: لقد أنفقنا الكثير على إعلانات تحمل رقم حساب ١٠٠٠١٠٠٠ ثم بعد ذلك نغيره؟ أنا أرفض ذلك تمامًا.

قال له مدير جولدن لاند: لا تقلق بشأن الإعلانات، لدينا مسؤلوا إعلان محترفين يستطيعون أن يبدعوا لك إعلانات أكثر احترافية وجودة من إعلاناتكم.

ثم قال لحشمت: ولكننا سنحتاج أن نصنع إعلانات لحساب ١٠٠٠١٠٠٠ لمدينتنا، ولا أكذب عليك يا حشمت بيه أن تكلفة الإعلانات الجديدة لحساب المستشفى والمدينة ستكون كبيرة ولن نستطيع تحملها.

فكَّر حشمت كثيرًا ثم قال له: لماذا نحتاج إلى إنشاء إعلانات جديدة للحساب وإعلانات المستشفى موجودة بالفعل، فقط سنغير خاتمة الإعلان بدلًا من

١٠٠٠١٠٠٠ إلى ٣٥٠٤٥٠ الحساب الجديد لمستشفى الرحمة. ونفس الأمر بالنسبة لمدينة جولدن لاند، سنضع في نهاية الإعلانات القديمة حساب ١٠٠٠١٠٠٠ كحساب جديد للمدينة.

فكر مدير جولدن لاند قليلًا وقال لحشمت: حسنًا. ليس لدي مانع.

وكذلك وافق مدير المستشفى ومديري البنكين.

بعد أسبوع كان الإعلانين جاهزين، وتم عرضهما في التلفزيون.

حينها كان حشمت محبوس في حجرة الاجتماعات بين موظفيه، ولكنه لم يتنظر حتى نهاية الاجتماع هذه المرة، فقد قطعه بمجرد أن اقتحم كمال الحجرة وفي يده ريموت التلفزيون وأخبره بنزول الإعلانين وأصر على أن يشاهدهما فورًا بنفسه.

انطلق حشمت إلى مكتبه وهو يقبض على الريموت بيد متعرقة مرتعشة وخلفه كمال يحاول بلوغ أذنه ليهمس فيها بأمر ما، وبعدما نجح في إخباره صرخ حشمت قائلًا: كيف حدث ذلك؟

فتح التلفزيون بسرعة، وأخذ يقلب القنوات فوجد إعلان المستشفى، وكانت نفس مشاهد المستشفى السابقة مع تغيير رقم الحساب إلى ٣٥٠٤٥٠. ثم أخذ يبحث عن إعلان المدينة حتى وجده، وكانت ذات المشاهد السابقة ولكن بنفس نهاية إعلان المستشفى القديم. فبعد عرض مشاهد الفيلات الفاخرة، وحمامات السباحة للكبار والملاهي المائية للأطفال، وتسوق السيدات الأرستقراطيات في المولات متعددة الطوابق، وملاعب الجولف الواسعة التي يبدو اللاعبين فيها كحبات الأرز، قال المعلق بصوت حزين: تبرع من أجل هؤلاء المحتاجين على حساب ١٠٠٠١٠٠٠. بدون تبرعك سيفوتهم الكثير.

نهى سهى (+١٢)

في الساعة السابعة إلا دقيقتين صباحًا تسللت على أطراف أصابعها نحو غرفته، ووضعت المنبه الكبير ذو الجرس المزعج تحت الوسادة بجوار أذنه بعد أن ضبطته على الساعة السابعة، ثم عادت لتقف أمام باب الغرفة لتنتظر دق جرس المنبه وهي تعض شفتيها من الترقب وتضحك في خلسة عند تفكيرها في رد فعله.

وبعد دقيقتين صاح المنبه في طبلة أذن عادل فانتفض مذعورًا وهو ينظر حوله في فزع وذهول، حتى وجد جسم يهرب أمام غرفته وصوت رقيق يضحك ضحكات مكتومة، فقفز من فوق سريره وراءه وهو يصرخ: سهى أقسم بالله سوف أقتلك.

فصرخت بصوت حاد خائف: ماما ماما ... عادل يريد أن يضربني.

دخل غرفة والديهما فوجدها تختبيء خلف أمها في سريرها وهي تخرج لسانها له، والأم تعتدل من نومها وتجاهد في فتح عينيها المستسلمتين للنوم وهي تقول: ماذا حدث أيها الشياطين؟ مازلنا في البكور والناس نائمون.

قال لها وهو ينظر لأخته ويفرك ذقنه بيديه متوعدًا لها: لا شيء يا أمي. أكملي نومك. ثم خرج

بعد ساعتين كان قد حان وقت الفطور، كانت الأم تحضر الطعام في المطبخ، أما سهى فأكملت نومها مكان أمها خوفًا من عادل، بينما هو كان في غرفته يخطط لمقلب جديد لأخته ليأخذ بثأره.

نادى على أمه وقال لها: لو سمحتي يا أمي ابحثي لي عن القميص الأزرق. لقد اختفى تمامًا.

توجهت الأم من المطبخ إلى حجرته وهي تغمغم بنفس الكلام الذي تقوله عندما يطلب منها أحد عمل شيء تافه يستطيعون القيام به. وبعد أن دخلت الأم غرفته انطلق إلى المطبخ ووضع حبتين من القرنفل في كوب الشاي باللبن الخاص بأخته، ثم عاد إلى الغرفة، قليلًا وصاحت الأم من الصالة: الفطور جاهز يا بهوات. أم تريداني أن أوصله إليكما في السرير؟

جلس عادل وسهى على السفرة وبدءا في تناول الفطور. ظل عادل يأكل وهو يترقب سهى التي أنهت طعامها وبدأت في شرب الشاي باللبن، وبعد أن شربت أول رشفة قامت ببخها على المائدة.

وبَّختها أمها بقسوة قائلة لها: ما هذا الذي فعلتيه يا سافلة؟

قالت لها: وجدت قرنفل في الكوب. كدت أتقيأ.

قالت الأم: ما الذي أتى بالقرنفل عند كوب اللبن؟ هل القرنفل يمشي في المطبخ؟

كتم عادل ضحكه لكن سهى اكتشفت ولم تنظر إليه استياءً منه. أمرتها أمها بحمل كل الأطباق والأكواب إلى المطبخ وغسلها عقابًا لها، فنقلتهم دفعة بعد دفعة وعادل جالس ينظر إليها بسعادة مصطنعة منتظرًا أن ترى تعبيرات وجهه لتشعر بالغيظ، لكنه وجد أن علامات الحزن قد بدت عليها، فأنفها وأذنيها سارا أحمرين كعادتها عندما تحزن.

وبعد غيابها في المطبخ طويلًا دخل عادل المطبخ، فوجدها تفرغ بقايا الطعام في كيس القمامة في صمت. فوقف أمام الحوض وبدأ في غسل الأطباق لكنها لم تعره أي اهتمام، فأخذ حفنة من رغاوي الصابون ووضعها على أنفها وقال لها: حتى يذهب الإحمرار.

فأخذت بعض الماء من الحوض ورشَّتها في وجهه. ظلا يتداعبان ويضحكان حتى أغرقا المطبخ بالماء ورغاوي الصابون.

في الساعة التاسعة كان موعد لقاء عادل مع أصدقاؤه على المقهى الموجود بالشارع الخلفي لشارع مدرستهم الثانوية، وكان المقهى أمام باب مدرسة ثانوية تجارية بنات. كانت هواية عادل وأصدقاؤه مطالعة الفتيات والبحث عما يفضله كل صديق فيهن، فكان لكل واحد منهم وجهة نظر في الفتاة المثالية، أو بالأحرى، في رمز الأنوثة.

خرجت مجموعة فتيات من المدرسة ومعهن بعض الأوراق فقال أحد الأصدقاء واسمه علي: أووه. انظروا يا شباب قطيع الغزلان الخارج من المدرسة.

قال أيمن: أي غزلان؟ جميعهن كسر.

قال عادل: كسر فعلًا عدا الفتاة الخمرية ذات الصدر الكبير.

قال علي: أي صدر؟ الفتاة لا تكون فتاة إلا إذا كان وجهها ناعم يخلو من أي حبوب أو تجاعيد، ويكونا خديها أبيضين وممتلئين.

قال سعد: أنا أحب الأقدام.

نظروا جميعًا إليه، فحاول التفسير وقال: لا أدري. ولكنها تجذبني.

قال عادل: سوق الحريم مليء بالبضاعة الجميلة، ولكل تاجر الصنف الذي يوافق هواه.

قال سعد: ولكن التاجر الواحد قد يهوى ألف سلعة.

رد عادل: لذلك أفضل لك ألا تشتري، فقط تفرج ومتّع عينيك، فالفرجة ببلاش.

قال أيمن: كيف أتفرج فقط دون أن تذوق ولو لعقة بسبابتي من طبق العسل؟

قال له عادل: آه أيها المتحرش القذر.

ضحك الأصدقاء جميعًا وقال أيمن: ذات يوم قمت بالتحرش بفتاة في أتوبيس مزدحم.

سأله سعد فاغرًا فاه من الاندهاش: يا ابن الملاعين. ولم يضربك أحد؟

قال أيمن: لقد تظاهرت بأنني لم أقصد.

سأله عادل وقد دنا منه برأسه شغفًا : كيف قمت بذلك؟

قال أيمن: كانت الفتاة أمامي، فتظاهرت أن توازني يختل فأمسكت بذراعها بدلًا من المقبض المتدلي من سقف الأتوبيس. كان ذراعها اسفنجي نضر مثل الكيك الاسفنجي المليء بالبيض واللبن.

سأله علي: وماذا قالت لك؟

قال أيمن: قالت لي سوف يؤدبك الله. فقلت لها وأنا أغادر الأتوبيس: حسنًا يا شيخة خديجة المغربية.

ضحك الأصدقاء ثم قال علي: أنا شخصيًا من هواة تصوير الفتيات والنساء

اللاتي يسرن في الشارع.

سأله عادل: وماذا تستفيد من ذلك؟

قال علي: عدد كبير من اللايكس والمتابعين لصفحتي.

قال له سعد: وماذا يستفيد المتابعون؟

قال علي: من يدمن النظر إلى شيء يبحث عنه في كل مكان للتلذذ بالنظر إليه. يبحث عنه في طريقه، في عمله، في البيت الذي يسكن فيه، على لافتات الإعلان، وفي شاشات الهواتف والتلفزيون. وهؤلاء المعجبين يحبون رؤية الغزلان ذوات العود الفرنساوي والأرداف البارزة، سواء رأوا ذلك على الطبيعة أو في صور ثابتة.

قال عادل: ولكن أمر التصوير هذا يتطلب الجرأة؟

قال علي: صحيح ولكنني تجرأت عندما رأيت العديد يفعلون ذلك ويقومون بتصوير العديد من الفتيات، ولم يكتشف أحد أو لم يبالي. أستطيع أن أقول لك أن نصف بنات البلد تم تصويرهن ووضع صورهن في تلك الصفحات.

أثناء حوارهم وجدوا مجموعة من الفتيات تدخل الشارع، فانتظروا حتى يمررن أمامهم ثم تركوا القهوة ومشوا خلفهن.

قال عادل لإصدقاءِه: أنا أريد أن أتذوق.

فقال كل واحد منهم: وأنا وأنا وأنا.

قال علي: ولكن إن فعلنا ذلك ونحن معًا فستكون فضيحة.

قال أيمن: بالطبع لن نفعل ذلك معًا. الأفضل أن يختار كل واحد غزال ويتتبعها، ثم يأخذ ملعقة عسل صغيرة.

إختار كل صديق من الأربعة الفتاة التي أعجبته ثم تتبعها. ركب عادل خلف فتاة الميني باص، وأيمن نزل خلف فتاة في إحدى الأنفاق، وعلي أخرج هاتفه من جيبه وتظاهر بالتقليب فيه وهو يسير خلف فتاة في الشارع، أما سعد فظل واقفًا في الشارع ينظر بتشتُّت إلى قدم كل فتاة وامرأة تمر من أمامه دون

أن يختار واحدة.

في الميني باص جلست الفتاة في مقعد وجلس عادل في المقعد الذي خلفه، بدأ يراقب الناس من حوله قبل أن يمد يده نحوها. وجد الناس غير منتبهين له، فألقى سلسلة مفاتيحه بجانب كرسيها وبدأ يمد يده نحو ساقها، ولكن فجأة رن هاتفها في أذنه وهو مطأطيء رأسه في مستوى جيبها، فعاد إلى مكانه سريعًا قبل أن يلتقط سلسلته من الأرض.

أخرجت الفتاة الهاتف وبدأت تتحدث بصوت واضح: ألو. رأفت أنا نهى. كيف حالك؟ متى ستعود من السفر؟ لقد اشتقت إليك كثيرًا وإلى المقالب التي كنا ندبرها لبعضنا؟

بدأ عادل في نسيان ما ينوي فعله، وأخذ ينصت لما تقول الفتاة، تابعت: هل تتذكر عندما كنت ألقي الصاروخ في حجرتك وأنت مشغول باللعب مع صديقك ثم أجري إلى غرفة مكتب أبي وأحتمي به؟ هل تتذكر عندما قمت بقص شعري وأنا نائمة وذهبت لتخبر أمي أنني فعلت ذلك لأقلد سعاد حسني؟ عندها صدقتك أمي وضربتني وعاقبتني بغسل المواعين كلها في عز البرد، لكنك دخلت المطبخ وساعدتني. كم أشعر بوحدة عميقة بدونك يا أخي.

سكتت الفتاة، وبدأ صوتها يتقطع وبدأت تفقد السيطرة على ماء عينيها وأنفها، ثم تماسكت وعادت للكلام لكنها سكتت مرة أخرى، إذ فوجئت بفتى يقف أمامها فاغرًا فمه وناظرًا إليها بعينين محدقتين وأخذ يطالع عينيها وأنفها وملامحها بشغف شديد.

قالت له وقد تراجعت بعيدًا عنه قليلًا: ماذا؟ لماذا تنظر إلي هكذا؟

قال بصوت منخفض: أنفك يصير أحمرًا عندما تحزنين، لكنه أطول قليلًا عما رأيته في الصباح، وكذلك أذنك التي خلف حجابك حمراء الآن. أنا متأكد.

ثم سألها مسددًا سبابته نحو وجهها: أنتِ لا تحبين القرنفل. صحيح؟

ابتسمت وقالت بابتهاج ونشوة: نعم لا أطيق طعمه ولا رائحته. كيف عرفت؟

قال لها: أنتِ سهى.

قالت وقد عادت للخوف: أنا نهى. من أنت؟ وماذا تريد؟

اندفع فيها قائلًا: ألم أقل لك ألف مرة لا ترتدي هذه البلوزة الزرقاء الضيقة؟

ازداد خوفها وقالت بصوت عالٍ يوحي بالاستنجاد بالناس: ماذا تريد مني؟

تدخل الركاب بعد شكهم في سلوك عادل وأخذوا يدفعونه بعيدًا عنها.

وأخذ البعض يهاجمه قائلين: إنه متحرش اطلبوا له الشرطة. وقال آخرين وهم يدفعونه في صدره نحو الباب: انزل أيها المتهور. إياك وأعراض الناس لعنة الله عليك وعلى أمثالك.

قال لهم: أنا لن أؤذيها. هي أختي. دعوني أوصلها إلى البيت.

وعندما لم يجد بد من الجمع الغاضب قال لهم: أريد سلسلة مفاتيحي فقط. ولكنهم أنزلوه من الميني باص.

نزل عادل وصار كل الركاب ينظرون إليه من الشبابيك بغضب وهم يرشقونه باللعائن والسباب. ظل سائرًا في الشارع مذهولًا وقد تملَّكت رعشة خفيفة من جسده ظلت تزداد حدة كلما نظر باتجاه طريق الميني باص كأنه تذكر شيئًا آلمه.

بدأ يحدث نفسه قائلًا: إنها تحمل نفس روح أختي فيما تحب وما تكره كأنها هي. إنها تشبهها في كل شيء عدا ملامحها ونبرة صوتها؟ كيف أعتبرها فتاة غريبة وفيها الكثير من بنت أمي وأبي؟ كيف أستبيح إيذائها وهي تحمل نفس رائحة محارمي؟ وما حال بقية الفتيات اللاتي نظرت إليهن وتحدثت عن أجسادهن؟ لم أسمع أصواتهن، ولم أعرف ما يحببن وما يكرهن، لعلهن يشبهن أختي في أشياء أخرى لم أكتشفها.

ظل ينظر إلى الفتيات في الشارع ويقول لهن بصوت منخفض اعتاد معاكسة الفتيات به دون سماع الآخرين: من منكن سهى؟ من تحب شرب الشاي باللبن في الصباح؟ من تكره القرنفل و الفاصوليا البيضاء؟ من تحب أحواض السمك المضيئة؟ من يصيبها الفزع من النمل الطائر؟

ثم تذكر أصدقاؤه وما ينوون فعله فدخل في نوبة هلع، وبدأ يتعرق و زادت ضربات قلبه، وأخذت قدماه في الترنح أثناء المشي، وأخذ يقول: سهى سهى. أين سهى الآن؟ هل نزلت في النفق الذي فيه أيمن؟ أم وقفت أمام كاميرا هاتف

علي؟ لا. لا يا سعد. لا تنظر إلى قدم أخت صديقك.

ثم أخذ يتحدث إلى الناس في الطريق: من منكم رأى سهى؟ هل رأيت سهى يا أستاذ؟ هل شاهدتِ سهى يا مدام؟

أوقفه رجل وقال له: هل ضاعت منك طفلة؟

أجابه عادل: نعم أختي.

سأله الرجل: ما اسم أختك؟

قال: نهى.

قال الرجل متعجبًا: لماذا تناديها بسهى؟

قال عادل: لا فرق بين سهى ونهى

ارتاب الرجل منه وتركه. واصل عادل سيره في الطريق وواصل هلوسته بعدما تملك منه الهلع بعد اكتشافه بوجه الشبة بين الفتاة وبين أخته. بدأ يهدأ بعدما أنهكه المشي. فقرر العودة إلى بيته ليطمئن على أخته، ولكنه تذكر موعد لقاء أصدقائه في المقهى، فانطلق إليهم ليحذرهم.

دخل عليهم ووجهه مبلل بالعرق والدموع، وعيناه حمراوين، وفي قميصه تنتشر دوائر العرق الكبيرة، وصدره يرتفع وينخفض مثل حركة مد وجذر قوية، فوقفوا جميعًا مذهولين.

قال لهم وهو يجتهد في التقاط أنفاسه: هل أحد منكم رأى أختي من قبل؟

قالوا وهم ينظرون لبعضهم باندهاش: لا

قال لهم: فكيف تثقون أن من آذيتموهن قبل قليل أختي ليست فيهن؟

كيف تثق يا أيمن أن من أمسكت ذراعها في الأتوبيس ليست سهى؟ أو من أعجبتك قدمها يا سعد ليست سهى؟ أو من تأملت بياض خديها يا علي ليست أختي؟ وأنا كذلك، لست على يقين بأن من أعجبت بصدورهن لسن أخواتكم.

قد تكون شيماء هي علياء، أو نهاد هي سعاد، أو أميرة هي شهيرة، مثلما وجدت نهى هي سهى.

العائلة

كادت حصة الإنشاء أن تنتهي وتنطلق التلميذات إلى الفسحة، وكانت معلمة اللغة العربية قد استمعت لحكايات أربعة بنات من خمسة، أما التلميذة الخامسة فلم تحضر بعد.

نادت المعلمة بين التلميذات عدة مرات: فرحة رامي .. فرحة رامي .. هل حضرت فرحة اليوم يا بنات؟

وأثناء إجابتهن لها طرق باب الفصل بعنف مستفز، فتوجهت المعلمة المنزعجة نحو الباب، فاندفع الباب أمامها بقوة، وظهر شخص يبدو أنه غريب الأطوار.

كان يضع مسمار في فمه، وكان يمضغ علكة بقوة أظهرت حركات عظام فكه تحت خده المنتشرة فيه الغُرز والنتوءات، وكان شعره على شكل حلقات صغيرة لامعة متداخلة، وكان يضع حقيبة مدرسة وردية خلف ظهره لا تتماشى مع ملابسه غير المتناسقة.

قال للمعلمة بصوت أجش وهو يطالعها من أعلى إلى أسفل: سوري يا أبله. اتحمست شوية.

قالت له: من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟

قال لها وهو يضحك مظهرًا أسنانه السوداء المتآكلة: جاي أحضر الكلاس.

حينها سُحبت الحقيبة من خلفه ونزلت لأسفل، حيث أخذتها طفلة صغيرة خمرية اللون، لها ضفيرتين كبيرتين منسدلتين على كتفيها، وعينين واسعتين تفيضان بالبهجة. وضعت الطفلة الحقيبة خلف ظهرها وقالت: عفوًا يا ميس. كان الطريق مزدحمٌ جدًا اليوم.

قالت المعلمة بابتسامة عريضة: فرحة. هيا ادخلي فورًا، فكادت الحصة أن تنتهي.

قال الشاب بضحكة ساخرة: وأنا يا ميس.

قالت له فرحة بجدية لا تليق بصوتها الرقيق: انتظرني بالأسفل يا نُص.

قالت المعلمة باندهاش: نُص !!

قالت فرحة: نعم. أتى معي ليوصلني بعد الحصة للمطار لاستقبال والدَي.

قال النص بنفس الضحكة: آه النُص قَل منك. يا تحترم سنك، يالنص يقل منك.

أجلست المعلمة فرحة على كرسيها أمام التلميذات وقالت: كما تعودنا في حصة واحدة كل شهر، نختار خمسة تلميذات لسرد حكايات خاصة بهن، والآن جاء دورك يا فرحة. هيا ابدأي حالًا قبل أن تنتهي الحصة.

أخرجت فرحة كراسة الإنشاء وأطلقت كحتين استعدادًا لبدء الكلام، وأخذت تنظر إلى زميلاتها وتضحك، ثم نظرت في كراستها وبدأت:

في أحد الأيام في الساعة الواحدة صباحًا، كنت أنا وأبيه أحمد أخي الأكبر عائدين من المطار، بعد رحلة طويلة استمرت عشر سنوات في البحرين بصحبة والدينا. قبل أن يقرر أحمد العودة إلى مصر والاستقرار فيها بعدما شعر فجأة بغربة شديدة هناك. وعندما خُيرت على البقاء أو العودة اخترت ألا أفارقه.

عندما عدنا إلى شارعنا في حلمية الزيتون سمعنا صوت شجار بالقرب من البيت رغم هذا الوقت المتأخر من الليل، وحين اقتربنا من باب العمارة وجدنا مجموعة من الناس محتشدين في الداخل أمام المصعد، وكانوا يتشاجرون بطريقة غريبة دفعتنا لإنزال الحقائب ومشاهدتهم.

كان أعلى صوت حينها هو صوت سيدة بدينة شديدة البياض، مثل الأوزة المُنعَّمة، كانت ترتدي عباءة سوداء غارقة في البرونز، وفي ذراعيها اللذان شمرت عنهما حوالي ستة غوائش عن اليمين وعن اليسار، غير الحَلَق الكبير المتدلي من أذنيها. عرفت بعد ذلك أنها الحاجة منال زوجة المعلم سلطان، وهما من أقدم سكان العمارة.

كانت الحاجة تقول لسيدة تقف أمامها باستياء: أنتِ تطلبين مني جمع القمامة بنفسي. يبدو أنكِ نسيتي يا حبيبتي من أنا.

ورفعت ذراعها لأعلى لتحدث الغوائش صوتًا وبريقًا لاقترابها من لمبات مدخل العمارة، وأشهرت سبابتها للسماء وقالت: أنا الحاجة منال بنت المعلم صفوان الوالي، وإن كنتِ لا تعرفين عائلة الوالي ذات الأصول البشوية أعرفك بها.

ردت السيدة التي كان يبدوعليها الرقي، حيث كانت تقف مستقيمة كأنها جندي ملتزم، وأوحت لي نظارتها وبلوزتها وجيبتها القماش الحكليتين الواسعتين أنها مُعلمة، كانت تلك السيدة هي مدام عائشة سراج زوجة الأستاذ حلمي المفتش بوزارة التربية والتعليم.

قالت لها وهي تضبط نظارتها: بل أنت يا حاجَّة من لا يعرف من هي عائلة سراج. جدي الأكبر سراج باشا كان من رجال الخديوي توفيق.

تدخل رجل ضخم البنية كثيف شعر الشارب والصدر والذراعين، يرتدي جلابية بيضاء أكمامها مطرزة بخطوط ذهبية، ويرتدي شال أبيض فوق كتفه وطاقية صغيرة بيضاء على رأسه، وهو بالطبع فتوة العمارة المعلم سلطان صاحب سلسلة محلات سلطان للجزارة. رد على مدام عائشة وهو يشمر عن ساعديه مظهرًا كثافة شعر معصميه قائلًا: وأين الخديوي توفيق الآن يامدام؟ وأين البهوية والبشوية؟ لقد انتهت كل هذه الألقاب، وأصبح السيد هو المكسب. ونحن والحمد لله ملوك المكسب.

رد عليه رجل يقف بجانب عائشة يرتدي بذلة بنية بدون رابطة عنق، ونظارة سميكة الزجاج، وهو الأستاذ حلمي المفتش بوزارة التربية والتعليم وقال له: المكسب مكسب العقل يا معلم سلطان، وتجارة العلم أفضل من تجارة البهائم.

ضحك سلطان وزوجته منال معًا ضحكة ساخرة ، وزادا من التشمير عن ساعديهما مظهرين غوائش العز وشعر الفتونة الكثيف.

تدخل أحد الواقفين وكان شابًا طويلًا يرتدي كاسكيتة سوداء وبنطلون جينز مقطوع وقال: يا ناس ألن ننتهي من حفلة كل مساء هذه، نريد أن ننام يا عالم.

قال له المعلم سلطان وهو يضرب كفيه ببعضهما: عجبت لك يا زمن. نجدي المزيكاتي يشكتي من صوتنا العالي، وهو ليل نهار لا يكف هو و أخيه عن الخبط فوق رؤوسنا بضوضاءهما.

أصدرت زوجته منال صوت طقطقة بفمها ينم عن اعتراض وهي تضع يديها في خصرها وقالت: لكنه رغم ذلك فنان يفهم في الذوق والكلمة الحلوة، أفضل من أحدهم الذي لا تعرف لسانه الكلام الجميل.

نظر سلطان إليها بغضب وقال: ماذا تقصدين يا ست هانم؟

قال له حلمي: أليس أفضل من البلطجية الذين يسكنون في البيت لأنهم صبيانك يا معلم.

حينها تدخل شخص آخر وقال بصوت مثير للنفور: أوباااا. شكلي هقل منك، ياللي مفيش منك.

وكان هذا الشخص هو...

حينها قاطع النُّص كلام فرحة بطرقه على زجاج شباك الفصل، فنظرت إليه هي وكل من في الفصل، فقام بتشبيك يديه لها على شكل قلب، فاختلست ضحكة ثم أخفتها وأشارت إليه بجدية بالنزول، فحياها تحية عسكرية واختفى عن الشباك.

تابعت فرحة: كان هو النص. ولكن المعلم سلطان لم يسمح له بإهانة الأستاذ حلمي، فاقترب منه وضربه على صدره قائلًا: إلزم حدودك يا نص.

كنت أنا وأبيه أحمد مرهقَين جدًا من السفر ومن الحقائب الثقيلة، ولم نستطع إكمال العراك الذي تدخل فيه بعد ذلك الباشا وهو بواب العمارة، ومجدي أخو نجدي، وبعض السكان، وبعض المارة، ورجل يرتدي بالطو الطبيب، ومجموعة من البنات الصغيرات كن يرتدين ملابس راقصات بالية، ورجل مطافي يحمل مطفأة حريق صغيرة.

حينها أمسك أحمد بيدي وأخذ يتقدم نحو السلم. صعدنا إلى شقتنا دون أن ينتبه أحد لنا، ورحنا في نوم عميق بملابسنا التي جئنا بها.

في اليوم التالي بدأت معركة جديدة، لكنها كانت هذه المرة مع أخي أحمد. فكان المعلم سلطان مارًا أمام شقتنا، فوجدها مضاءة لأول مرة منذ عشر سنوات، فظن أن لصًا قد اقتحم الشقة، فكلم النص وبعض الجيران، ووقفوا أمام باب الشقة ليسمعوا أي صوت بداخلها.

وبينما كنت أنا وأحمد نتناول الفطور، فجأة وجدنا باب الشقة يُدفع بقوة ومجموعة من الرجال يقتحمون الشقة. أمسك النص بأحمد من قميصه بشكل مهين.

حين نطقت فرحة اسم النص نظرت التلميذات نحو الشباك متوقعات حضوره،

لكنه لم يظهر فتابعت فرحة: قال النص لأخي وهو يمسك به بقوة ويشهر آلة حادة في وجهه: قاعد ولا كأنك يبقى النص هيقل منك.

بكيت فورًا ولم أستطع نطق كلمة، فقال لي مجدي وشهرته مينو: لا تخافي يا حبيبتي، يبدو أنه اختطفها.

قال أحمد بصوته الخجول المتردد: لالا. هي أختي، أنا أحمد.....

لم يسمع أحد صوته، خاصةً أمام صوت المعلم سلطان الذي صاح قائلًا: كيف تجرؤ على اقتحام بيت يسكن فيه المعلم سلطان أبو العلا؟ لن أكتفي بتسليمك للشرطة. بل سأعلقك أولًا مثل الذبيحة أمام أحد محلاتي.

حينها بدأت في الصراخ خوفًا على أحمد، فزاد عدد الحاضرين وكان من بينهم الباشا البواب الذي أخذ يراجع باب الشقة ولم يجد فيه أي خدش فقال للمعلم: يبدو أن معه مفتاح يا معلم، أشك أنه لص.

سرح المعلم في مطالعة أحمد الذي أكسبه غرقه في العمل بهندسة الاتصالات سمتًا وقورًا، وأخذ يطالع فطورنا المتكلف بعض الشيء.

ثم قال بانهزام وخجل: يبدو أنه ليس لص. من هو إذًا؟

أخذ ينظر لمن حوله وينظرون إليه دون سماع رد، أما أحمد فلم يستطع نطق كلمة بعد أن هرب دمه.

فجأة التفت الجميع نحو صوت يقول بحسم للنص: أنزل يدك عنه يا حيوان.

أنزل النص يده فورًا وقال: أبلة عيشة؟

قالت مدام عائشة وهي تتقدم نحو أحمد بغضب: ما الذي تفعلون أيها الهمجيين؟

حينها تراجع المعلم سلطان واختفى خلف الحاضرين. ثم بدلت عائشة ملامح الغضب فجأة بملامح مبتهجة ضاحكة عندما نظرت إلى أحمد وقالت: أحمد ابن أستاذ رامي ومدام رحاب. ما شاء الله كبرت يا أحمد وأصبحت عريس. هل تتذكرني؟ أنا أبلة عائشة التي كانت تذاكر لك الدروس.

التقط أحمد أنفاسه وأخرج صوته بمشقة قائلًا: نعم بالتأكيد أتذكرك وأستاذ حلمي، والمعلم سلطان ومدام منال وكل سكان البيت.

حينها تقدم المعلم سلطان نحو أحمد بخطوات مترددة وقبَّل رأسه وقال له: أعذرني يا ابن الغالي، عيبي أنني مندفع قليلًا.

قالت عائشة بصوت غاضب منخفض: همجي.

فرد عليها سلطان وبدأت معركة جديدة نسى فيها الحاضرين أحمد، ونسوا أن يتعرفوا علي، وأخذوا يشتبكون بالألفاظ والتلميحات والصوت العالي.

مرت الأيام وصرت أنا واحدة من أهم سكان العمارة، وصارت لي صديقات من نفس عمري أو أكبر قليلًا، وعاملني جيراني مثل ابنتهم، فكان الباشا يصطحبني إلى الدروس والمدرسة بدراجته، وإن انشغل بسبب زحام طلبات السكان كان يقوم النص بتوصيلي بدلًا منه بالتوكتوك الذي يعمل عليه.

ثم خفضت فرحة صوتها وقالت: كان النص عندما يخرج بالتوكتوك من الجراج يلتفت كثيرًا حوله. ثم وضعت يدها بجانب فمها واقتربت من زميلاتها وقالت بهمس: أظن أنه سارقه.

فوضعت الفتيات أيديهن على أفواههن من الصدمة ونظرن بترقب نحو الشباك.

تابعت فرحة: وكنت إذا أردت التنزه كان يصطحبني الأخوان مجدي ونجدي صاحبي فرقة «مينو نينو» الموسيقية إلى إحدى حفلاتهما، ويجلساني في مكان قريب منهما لأشاهد فنهما الذي لم أفهم منه شيء.

وكانت طنط عائشة تذاكر لي أحيانًا، وأبله منال كانت تجلسني معها في المطبخ لأتعلم الطبخ، وكان بقية سكان العمارة يغرقونني في الحلوى وأكياس الشيبسي كلما رأوني. إنهم حقًا أسرة جميلة.

أما أبيه أحمد، فكان منعزلًا عنهم تمامًا، ربما مازال مستاءً منهم منذ الحركة إياها، لكنهم كانوا يترقبونه دائمًا للتصالح معه بتقديم أي مساعدة له.

وأخيرًا جاءت اللحظة التي كان كل البيت ينتظرها، ففي يوم على غير عادته دخل أحمد البيت سعيدًا منطلقًا، وكان يتحدث مع صديقًا له في الهاتف، كان يقول له: الله يبارك فيك يا عز. نعم هي وافقت، لكن الطريق أمامي مازال

طويلًا، ويجب أن أطلب يدها من والدها قبل مختار الشبح هذا. لا أعرف كيف شبحًا يفكر في الزواج من ملاك!! يجب أن ننهي الأمر هذا الأسبوع إن شاء الله يا عز.

سمع هذا الكلام الإعلام الرسمي لبيتنا العزيز وهو الباشا، وقام بنقله فورًا إلى الحاجة منال التي فرحت للخبر وأعطته عشرة جنيهات، فشعر أن الخبر وراءه سبوبة جيدة فأخبر جميع سكان العمارة به، ونال ما فيه القِسمة.

في ذات اليوم ليلًا طُرِق أحدهم باب شقتنا طرقات رزينة هادئة. قام أحمد بفتح الباب فوجد رجلًا طويلًا عريض المنكبين يلف مازورة زرقاء حول رقبته، وفي يده كيس كبير تخرج من رأسه شماعة.

قال له أحمد مستفهمًا: أهلًا... مرحبًا بك... كيف أستطيع أن أساعدك؟

كان الرجل صامتًا، وعلى وجهه ابتسامة خفيفة ظلت تزداد كلما تطلع في وجه أحمد.

أخذ أحمد هو الآخر يتطلع فيه حتى قال له: لالا. لا تقول. عم رشدي متَّى الترزي.

ضمه رشدي بين كتفيه حتى احتواه كأنه طفله، وقال له بصوت أجش مميز: كيف حالك يا ابن رامي الحلواني؟

قال له أحمد: تخيل! أنت أول من فكرت في رؤيته بمجرد أن لمست عجلات الطائرة أرض مصر.

قال له رشدي: أعتذر لك لأنني لم أظهر منذ وصولك، فقد قاطعت هؤلاء الأوغاد منذ سفر والدك، وأعتذر لك عما وقع منهم.

قال له أحمد: لا داعي للاعتذار، هم أهلي على كل حال.

مد رشدي يده بالكيس وقال لأحمد: تفضل يا أحمد. ألف مبروك.

اندهش أحمد في البداية، لكنه عرف أن الخبر قد تسرب، واستنتج أن بداخل الكيس بذلة زفاف.

استلمها أحمد وأخذ يشكر رشدي، وحاول أن يتحدث في أي شيء حتى ينسى

رغبته في البكاء.

قال له رشدي: من الآن أنا والدك هنا، ورجلي على رجلك في أي مكان. بل أنا أفضل من والدك هذا اللاعب الخائب.

ثم نظر إلي وقال: أتعرفين يا فرحة. والدك لم يستطع هزيمتي ولا مرة في الطاولة.

قال له أحمد: شكرًا يا عم رشدي. ولكنني لم أحدد بعد موعد زيارة أهل الفتاة، وعندها سأخبرك.

علم رشدي أن أحمد مازال يرفض المساعدة، فأراد ألا يضغط عليه، فتحدث معه قليلًا ثم رحل.

وكعادة أخبار العمارة لا تخفى على أحد، عرف الجميع أن أحمد لا يريد المساعدة، لكنهم شعروا بحاجته إليها رغمًا عنه، خاصة أن هناك خصمًا لأحمد يريد خطبة فتاته.

كانوا فقط بحاجة إلى بعض المعلومات التي أمدهم بها مراسلهم الصغير الوفي، وهو أنا. وقد نقلت لهم كل شيء من أجل أبيه أحمد.

الآن صاروا يعرفون كل شيء عن زيارته لبيت الفتاة ليخطبها، والموعد وهو بعد غد، والمكان مصر الجديدة، ووالد الفتاة وهو المهندس مهدي موظف كبير بوزارة البترول، والشاب المتقدم للفتاة وهو مختار صابر أو مختار الشبح.

والمشكلة الأكبر أن هذا الشاب سيتقدم لخطبتها في نفس يوم تقدم أحمد لها، بل إنه قد حدد موعد مع والدها وأحمد لم يحدد موعد، بل قرر أن يفاجئه بالزيارة ليخطفها من بين يدي الشبح قبل أن يوافق والدها عليه.

في نفس اليوم صباحًا اجتمع سكان العمارة في شقة الأستاذ حلمي عدا رشدي الممتنع عن تلك الاجتماعات، وأكد المعلم سلطان على توزيع الأدوار.

قال: حسنًا اتفقنا. أنا ومنال وأستاذ حلمي وحرمه ومعنا فرحة سنذهب إلى بيت المهندس مهدي لنعرفه بأحمد وبعمله وأخلاقه، ونعرفه أنه ليس وحيدًا، بل وراءه عائلة كبيرة.

ومجدي ونجدي سيقفان بفرقتهما أما البيت للتحذير أو للاشتباك إن تحتم الأمر.

النص والباشا سيقفان في أول الشارع وفي آخره لانتظار مختار الشبح إذا أتى مبكرًا، وتعطيله حتى ننتهي، ولكما مني مصلحة حلوة.

فقال له النص مازحًا: دولارات أمريكاني ولا ين ياباني؟

ضربه المعلم فوق رأسه وتابع: لكن احذرا أن يراكما أحمد وهو قادم. اتفقنا؟ على بركة الله.

في تمام الساعة الرابعة، وقبل موعد أحمد بساعتين، وقبل موعد مختار بأربعة ساعات، كان حلمي وسلطان وزوجتيهما وأنا في بيت المهندس مهدي، بعد أن عرفناه بنفسنا وأخبرناه برغبتنا في التحدث بشأن أحمد.

بدأ الأستاذ حلمي بالكلام: أستاذ مهدي. أنا حلمي إبراهيم مفتش بوزارة التربية والتعليم، ومدام عائشة زوجتي وهي....

قاطعه سلطان قائلًا: وأنا المعلم سلطان، وهذه حرمنا الحاجة منال الوالي.

ثم صمت وتابع حلمي: ابننا أحمد شاب على خلق عالي. تخيل أننا أحيانًا ننسى نبرة صوته، وغالبًا ما ننسى أنه حاضرًا لندرة حديثه، هو يعمل....

قاطعه سلطان وهو يشمر عن ساعديه: بدون مقاطعتك يا أستاذ حلمي. شوف يا أستاذ مهدي. نحن بالصلاة على النبي نريد الأمورة ابنتك لابننا أحمد، وجميع التكاليف علينا، من مصاريف الفرح حتى شهر العسل. ما رأيك؟

تدخلت مدام عائشة قائلة: انتظر يا معلم، الأمر ليس سلق بيض. يجب أن يعرفوا أحمد أولًا، ونشأته وتربيته.

ثم وجهت كلامها لمهدي وهي تبتسم زهوًا: أحمد هو تربيتي. أي تربية عائلة سراج. جدي سراج باشا كان من رجال الخديوي توفيق.

في تلك الأثناء كانت منال تشمر عن ساعديها مظهرة ثماني غوائش عن يمينها وعن شمالها. وبعدما أنهت عائشة كلامها قالت منال وهي تلوح بساعديها في الهواء لينتشر صوت الغوائش في أرجاء الصالة الهادئة: وهو تربيتي أيضًا. تربية

عائلة الوالي الكبير.

انتظر مهدي حتى انتهوا جميعًا من الكلام وقال لهم بابتسامة عريضة لم تنقطع منذ أن فتح باب الشقة لهم: كل هذا جميل. وأنا أعرف أحمد، فهو يعمل في شركة أخي، والكل يشكر في أخلاقه.

ونظر إلي بابتسامة أكبر وقال: وأعرف فرحة أيضًا، أو سمعت عنها. ولكن أين هو أحمد؟

ارتبكوا جميعًا ورد عليه سلطان بدون تفكير: أحمد في الطريق، لكن بذلته تأخرت عند المكوجي.

ردت عائشة: في الحقيقة أحمد لا يعلم بحضورنا. فهو عنيد قليلًا ويرفض زيارتنا هذه في الأساس.

قالت لها منال بصوت منخفض: أتريدين أن تظهري المعلم رجل كاذب؟

ردت عليها بصوت مماثل: أفضل من أن يظنونا جميعًا كاذبين.

قال سلطان لحلمي: أيعجبك ما تقوله جماعتك يا سيد حلمي.

رد حلمي: أنت تقول كلام غير معقول يا معلم، اسكت قليلًا ودعني أتكلـ.....

في هذه الأثناء ضرب جرس الفسحة، وقام عدد من التلميذات مسرعات نحو باب الفصل، لكن البقية ظللن جالسات مكانهن، فقالت المعلمة لفرحة: أكملي يا فرحة.

فعادت التلميذات إلى مكانهن، وقبل أن تكمل فرحة سمعت صوت النص ينادي من فناء المدرسة: يالا بينا يا فرحتاااااااي

ضحكت فرحة والتلميذات والمعلمة، ثم سألتها زميلتها: ماذا فعل النص في هذا اليوم؟

قال فرحة وهي تضحك: لقد كان له دور كبير، فقد حدث ما توقعه المعلم سلطان وحضر مختار الشبح مبكرًا. كان النص قد عرف سيارته من قبل، وبمجرد أن دخلت السيارة الشارع عرفها، فوقف أمامها ليوقفها.

نزل من السيارة شاب يرتدي بذلة سوداء أنيقة، قال له النص ببرود وهو يضع

مسمار في فمه: ألاقي معاك ولاعة يا أخ؟

فرد الشاب: ليه هتولع المسمار؟ إنتَ محتاج شاكوش على دماغك.

فقال له النص: ومين بقى الشاطر إللي يقدر يعملها.

قال له الشاب: خالد الشبح.

أمسك النص بجاكت بذلته وقال له: شبح !! دا إنتَ بأشباحك وجِنَّك، النص هيقل منك.

ثم ضربه بالرأس ، واشتبكا سويًا وتدخل الناس في الشارع ومجدي ونجدي وفرقتهما، حتى الباشا الذي وقف على الجانب الآخر من الشارع.

في تلك الأثناء حدث ما لم يكن الباشا يتوقعه، دخل مختار الشبح في سيارة مرسيدس وتبعته سيارتين، وتقدموا حتى باب عمارة المهندس مهدي.

نزلوا من سياراتهم وتوجهوا نحو الباب غير مهتمين بالعراك الدائر في أول الشارع. قابلهم رجل ضخم البنية يرتدي قميصًا من حرير وبنطلون ذو كسرة حادة، وفي يمينه خاتم كبير من ذهب.

قال بصوت منخفض: كنت أعلم أن هؤلاء الأغبياء سيخطئون خطئًا كبيرًا. كان من الصواب أني لحقت بهم.

ثم قال لمختار ومن معه بصوت غليظ فيه رنة مميزة: نعم؟ تريدون من؟

كان هذا الرجل هو عم رشدي متَّى.

شك مختار في عم رشدي فقال له: ومن أنت؟ وما شأنك؟

قال له وهو يدفعه: انتظر نصف ساعة حتى ننتهي من مسح السلم.

فاشتبك معه مختار ومن معه، وظل عم رشدي يدفعهم واحدًا تلو الآخر، ولكن عددهم كان كبيرًا، فنادى على الرجال في أول الشارع بصوته المألوف لديهم: يا نص، يا نجدي، يا باشا، أنتم أيها البهائم.

وبعد عدة محاولات من النداء كانوا جميعًا أمام مدخل البيت.

سمع المهندس مهدي وضيوفه العراك أسفل البيت فنظروا من الشرفة، ففزع المهندس مهدي من عدد المتشاجرين، وفزع سلطان وحلمي لاكتشافهما حضور مختار.

اعتذر مهدي لضيوفه وأراد أن يجلسهما، لكنهم اعتذروا وقرروا الرحيل لمساندة الرجال في الشارع.

وقفت أنا وأستاذ حلمي وأبله عائشة في مدخل العمارة، بينما هرع المعلم سلطان إلى وسط المعركة، ووقف أمام النص وصفعه بالقلم وقال له: أيها الجبان . أين حركاتك وفنك؟

فتحمس النص وقال له: ودولاراتك وبِنَّك.

زاد الشجار حدة وزاد الصياح وعلا السباب، فخرج مهدي مرة ثانية ليلاحظ سلطان وهو يضع رقبتي رجلين تحت ذراعه الأيمن ورجلين تحت الأيسر ويركل بقدمه أي شخص يقف أمامه، وزوجته منال قد خلعت غوائشها وأخذت تصيح في الرجال، ولاحظ مختار الشبح وهو يسمك بعصا ويضرب بها ظهور ورؤوس رجال فرقة مجدي ونجدي بقسوة.

فعلم أن سبب المعركة هو تقدم أحمد ومختار لخطبة ابنته. أغلق الشباك وجلس يفكر كثيرًا، ثم استدعى ابنته وتحدث معها، وبعدها نزل ليحاول حل المشكلة.

وبعد ساعة كان كل شيء قد انتهى، وعاد الشارع إلى هدوءه، حينها وصل أحمد وصديقه عز في تاكسي ومعهما بوكية كبير من الورد.

جلس أحمد أمام مهدي الذي كان يربط رأسه بشاش، فأراد أحمد الاطمئنان عليه فقال له مهدي: كانوا هيقلِّوا مني، بس الرجالة شالوا عني.

تعجب أحمد ولكنه دخل في الموضوع مباشرة فقال: يا أفندم كنت... كنت أريد أن... الأمر وما فيه أنني...

قال مهدي وهو يمسك رأسه من الألم: موافق

ابتهج أحمد وعز وسأله أحمد للتأكد: موافق على ماذا؟

قال مهدي: لا ترهقني بالكلام. الألم يأكل في رأسي يا بني.

ثم قام وقال له: كنت أعرف منذ فترة أنك تريد الزواج من ابنتي، ولكنني كنت قلقًا من وحدتك وسفر أهلك، لكنني تأكدت أن وراءك عائلة كبيرة تحبك وتخاف على مصلحتك.

قال له أحمد متعجبًا: عفوًا. لم أفهم شيء.

حينها خرجتُ أنا من الداخل ومعي سارة عروسة أحمد من غرفتها.

وعندما رآني أحمد فهم كل شيء.

قال مهدي وهو يتحرك نحو الشباك: أتعرف يا أحمد؟ أجمل شيء في جيرانك هو بساطتهم ولغتهم المتواضعة، ثم وقف في الشباك وقال بصوت عالي: سَمعهم يا كبير

فبدأت فرقة مجدي ونجدي بالعزف، مع زغاريد الحاجة منال ومدام عائشة، وتصفيق ورقص الرجال.

ثم نزلت مع أبيه أحمد ليستقبلونا بالصياح والتهليل سعادةً بمساعدة أحمد لتحقيق حلمه. أما هو فلم يستطع مقاومة حبهم أكثر من ذلك فانخرط في الرقص والتصفيق معهم تاركًا وقاره وتَحَفُّظه وراء ظهره، كأنه واحد من صبيان المعلم سلطان أو عضو بفرقة نينو مينو. ورغم أنه كان محاطًا بالرجال ولم أستطع رؤية فرحته بينهم، إلا أني وجدت شخصًا يرفعني فوق رأسه ويدخل بي وسط الجمع ليرقص بي، وطبعًا كان !!!

نطقت كل التلميذات: النُص.

في هذه الأثناء انتهى وقت الفسحة، وطلب مدرس الحصة الرابعة أن يبدأ حصته، قبل أن تحكي فرحة لزميلاتها عن مشاجرة النص والباشا والمعلم سلطان، مع أحمد ومجدي وعم رشدي على أجرة الميكروباص التي اختلفوا على دفعها أثناء عودتهم تلك الليلة.

ضحى والجد المسكين

(١)

«يا زهرة في خيالي.. سقيتها بفؤادي.. جنت عليها الليالي..وأذبلتها الأيادي....»

كان الراديو مفتوحًا على إذاعة الأغاني في تمام الساعة التاسعة مساءًا، وكان كالعادة في مثل هذا الوقت يبث أغاني فريد الأطرش. وكان مثبتًا بين أفرع نبات اللبلاب المتدلي من السقف إلى أرض شرفة البيت الواسعة.

أما الحاج محمود، فكان معتادًا على الجلوس أمام الراديو في هذا الوقت يوميًا ليسمع مطربه المفضل منذ ثلاثون عامًا. بالرغم من ذلك، لم يكن باستطاعته أن يستمع إليه جيدًا مثلما كان؛ لأن سماعات الأذن التي يرتديها صار أداؤها أضعف من أذنه الضعيفة نفسها، ولأنه لا يقوى على الوصول إلى الراديو لضبط إشارة الإذاعة ليكون الصوت نقيًا، خاصةً أن ضحى ابنة سامي (ابنه الأكبر) تأخرت في الجامعة اليوم، وأن الذي قام بضبط الراديو له هذه الليلة هي هالة حفيدته وابنة علياء (ابنته الوسطى)، والتي لم تستطع أن تضبط الراديو جيدًا، لأن الطلاء الذي وضعته على أظافرها لم يجف بعد، ومنذ يومين أيضًا بسبب تأخرها عن موعد صديقاتها، والأسبوع الماضي لأنها لم تكن في «المود».

رغم ذلك، كان الحاج محمود سعيدًا لسماع الأغنية، وكان يحرك عصاته يمينًا ويسارًا تارة، وتارة يدب بها على الأرض، وتارة ثالثة يحركها حول حفرة صغيرة في الأرض، لتنوب عن رغبة جامحة بداخله في الرقص. كانت تعلو وجهه ابتسامة كبيرة اعتلت لتصل إلى عيناه اللتان أغلقهما لإحساسه العالي بالوجد. كان يدندن قليلًا مع الأغنية، وعندما يضيع تردد الإذاعة كان يكمل الكلمات المفقودة.

قال بصوت منخفض بعدما أخذ نفس عميق: لا شيء يذكرني بكِ أكثر من تلك الأغنية يا زهرة حياتي وأم أبنائي . ثم مد يده المرتعشة نحو منضدة بجانبه وأخذ كوب اليانسون الدافيء ليشرب منه رشفتين، ثم أعاده ووضع ذقنه فوق عصاته وأغمض عينيه؛ ليعيش ذكرياته مع الست نعمات التي توفيت منذ سنوات قليلة.

وأثناء دندنته مع الأغنية توقف الراديو فجأة، ظن الحاج محمود أن الإرسال قد انقطع عن القناة، ولكنه تأخر كثيرًا هذه المرة، فرفع رأسه ليجد الطفل

محمود ابن ابنه شاكر (ابنه الأصغر) يمشي معطيا ظهره عند باب الشرفة، وكأنه للتو غادرها، فنادى عليه: يا محمود ... يا ولد يا محمود.

فلم يرد عليه، فقال وعيناه تحدقان كأنه تذكر شيئًا هامًا: آه.. لقد نسيت.. هو لا يحب أن نناديه بمحمود.

ثم كرر المحاولة: يا ماندو... اسمع يا ماندو

رد الطفل بعدما غاب عن نظر جده: نعم.

انتظر الجد قليلًا ليأت الطفل إليه، ولكنه لم يأت، فنادى عليه مرة ثالثة بصوت عالٍ: يا ماندو تعال إلى هنا.. ثم انتظر قليلًا وكَرر ندائه: يا مانـــ...

حينها أتاه الطفل مسرعًا وفي يده مضرب كرة الطاولة و رد باندفاع: نعم نعم... ماذا تريد؟

سأله: هل أطفأت الراديو؟

رد باحتقان: نعم

سأله: لماذا يا بني؟ ألم تعرف أني أسمعه؟

قال الطفل: إن صوته عال، وأنا لا أستطيع أن أذاكر أنا وزميلي بالحجرة.

فقال له لائمًا: هل تذاكرون بمضرب كرة الطاولة؟

في هذه اللحظة خرج من الحجرة زميله وهو الآخر يمسك بمضرب الكرة الطاولة ويقول لماندو متلهفًا: يا ماندو... لقد وقعت الكرة في الشارع.

فالتفت إليه مفزوعًا وقال له: كيف فعلت ذلك؟ هيا لنبحث عنها بسرعة.

قال الجد قبل رحيل الطفلين: يا ماندو... إفتح لي الراديو أولًا.

ولكن ماندو قد رحل، أما صديقه فظل واقفًا مترددًا في تلبية طلب الجد. نظر إلى الراديو وقال للجد: عفوًا يا جدو، فالراديو في مكان عالٍ ولن أستطيع الوصول إليه.

وقف الجد من فوق كرسيه وقال للطفل بحماس: تستطيع أن تقف على هذا الكرسي.

ثم جذب الكرسي بمساعدة الطفل، وحركاه إلى أسفل الراديو، وصعد الطفل ومد يده نحو الراديو ليفتح مفتاح الشتغيل، لكنه وجده مفتوحًا. وقبل أن يخبر الجد بذلك عاد ماندو إلى الشرفة، وقال بعنف إلى صديقه: ماذا تفعل هنا يا وائل؟ إن لم أجد كرتي فسوف تدفع لي ثمن كرتين.

ثم جذبه من فوق الكرسي وهمَّا بالرحيل. قال وائل لماندو: وراديو جدك؟

رد ماندو: دعك منه.

ظل الجد ينظر إليهما حتى سمع صوت الباب يقفل. ثم أخذ ينظر إلى الراديو، وكان تيار الحنين إلى أم أبنائه مازال يلامس قلبه، لذا قرر أن يستمر التيار في التدفق إليه، فأطاح بعصاته بكوب اليانسون من فوق المنضدة، ثم سحبها بالقرب من الكرسي تحت الراديو، ووضع عليها العصا. ثم وقف على ركبتيه فوق الكرسي، واتكأ على الحائط ليقف مستويًا على قدميه، ثم أمسك بالعصا وثبتها فوق المنضدة واتكأ عليها. وبعدها أخذ يقلب في مفتاح الراديو، لكنه لم يعمل، فأيقن أن حفيده قد نزع سلك الراديو من الكهرباء.

ظل الجد واقفًا فوق الكرسي ومنسدلًا فوق وجهه ستار الحزن، وقال: سامحك الله يا محمود الصغير، لم أشبع من روح جدتك التي آنستني لثواني بعد أن هجرتني لسنين.

ولم يمنعه ذلك من وصاله مع فقيدة روحه، فأخذ يكمل الأغنية وهو واقف فوق الكرسي: «هي غرامي كل شيء ضاع مني.. فنزعتُ الحب من قلبي وروحي.. ووهبت العمر أوتاري ولحني.. وتغنيت فداويت جروحي»

(٢)

في عصر اليوم التالي أقام سامي (الابن الأكبر) حفل غداء فاخر في شقته التي تعلو شقة والده مباشرة، وكان حفل الغداء عبارة عن عزومة لأهل فتاة ينوي ابنه أمجد الارتباط بها للتعارف بين الأسرتين.

ونفس اليوم هو المقرر أن تُنزِل زوجة سامي الغداء لوالده بحسب الترتيب

المتفق عليه بين زوجتي ابنيه وابنته لإعداد وتوصيل الغداء إلى الأب المُسن، حيث كانوا جميعًا يسكنون معه في عمارته الكبيرة تبعًا لوصيته، حتى يهتمون بأمهم في حال موته، قبل أن يعرف أنها هي التي سترحل قبله.

حان وقت إنزال غداء الأب، فحضَّرت زوجة سامي صينية بها طبق شوربة خضار وبها قطعة لحم صغيرة، وطبق متوسط الحجم من الأرز، ورغيف عيش، ثم انطلقت إلى شقة الأب، وضعت الصينية فوق الطاولة في غرفة السُفرة التي اعتاد الجد تناول الغداء فيها، ثم قرعت باب غرفة النوم على الحاج محمود وفتحت الباب لتجد الغرفة غارقة في ظلام، فقالت بصوت مرتفع: الغداء جاهز في غرفة السفرة يا عمي، هل تريد شيئاً آخر؟

وقبل أن تتأكد من سماعه لها قامت بغلق الباب، فناداها: اسمعي يا ابنتي.

فتحت جزءًا صغيرًا من الباب لتمرر الصوت وقالت بغيظ مكتوم: نعم يا عمي.

قال لها: افتحي لمبة الغرفة حتى أستطيع أن أعتدل في السرير.

مدت يدها من خارج الغرفة نحو مفتاح الإضاءة وهي تقول: حاضر. ثم أغلقت الباب.

مد الجد يده ليأخذ وسادة ليضعها خلف رأسه، ثم أخذ ينظر حوله بحثًا عن عصاته فلم يجدها. قال في نفسه: أنا جائع جدًا، لكنني لن أذهب إلى غرفة السُفرة زحفًا على الأرض، سأنتظر أي عابرسبيل يأتي لي بالطعام من هناك.

ظل جالس في مكانه طويلًا يتأمل أرجاء غرفته ويقطع تأمله صوت أمعاء بطنه الخاوية، حتى سمع صوت يألفه جدًا خارج غرفته، كان الصوت بعيدًا ثم أخذ يقترب ثم يقترب. بدأ يسمعه بوضوح، إنه يغني، ماذا يقول؟ بدأ الجد يدندن مع الموسيقى: تارا تارا تارا تارا... تيرا را را را را را.. عيد الربيع عاد من تاني.. والورد هلت أنواره.

قال بسعادة وقد انتصب جالسًا بعيدًا عن الوسادة التي خلف رأسه: إنه فريد الأطرش.. يا إلهي إن صوته خلف الباب. هل أنا أحلم؟ أم أنني مت من الجوع وذهبت إلى الجنة؟

ثم فُتح الباب ببطء والجد ينظر إليه مترقبًا. كان أول ما ظهر بوكية من الورد

الأبيض والأحمر والبنفسجي، ثم ظهر راديو بدون سلك تحمله يد مغطاة بجوانتي أسود تتوسطه وردة من البرونز.

صاح الجد رافعًا يديه إلى السماء: آآآآآآه .... لقد انقشع الليل وحل الضحى.

دخلت ضحى ابنة سامي ومعها الورود والراديو الجديد كهدية للجد بمناسبة نجاحها في امتحان أصعب مادة عندها في كلية العلوم.

قالت له بضحكة ربيعية مبتهجة: مرحبًا بالملاك العجوز.

قال لها الجد فرحًا: بل أنا من سأل الله مَلَكًا ليطعمني فأرسل لي الجنة بكل خيراتها.

قالت: كعادتك يا كبير العائلة، في كل مرة تأكلني بكلامك الجميل عندما أراك، وأنسى أن أُقَبِّل هذه الجبهة المتعرجة مثل سطح القمر.

قال لها: بل الشرف لي سيدتي، تفضلي.

وتقدم برأسه قليلًا حيث اقبلت لتقبل جبهته.

قالت له: لقد أتيت لك بسماعات أذن جديدة وراديو جديد بدون سلك بدلًا من الراديو الذي تطفأه الأشباح.

قال لها بنبرة منطفئة: ولكن الأشباح لا يلعبون كرة الطاولة يا مهجتي.

قالت له: دعنا الآن نحتفل، فقد ودعت أصعب مادة في الميدتيرم، وأشعر الآن بالحرية والرغبة في الانطلاق. فلنأكل بعض الحلوى ونحتفل.

قال: أي حلوى وعصافير معدتي تصيح كأنها تشوى وهي حية.

قالت وهي تهرول نحو باب الغرفة: حالًا سوف آتي لك بالغداء. أُعذر أمي فهي مشغولة منذ الصباح.

قال لها: ستجدينه في غرفة السفرة.

عادت بصنية الطعام ووضعتها أمام جدها في السرير وأمسكت بالمعلقة المحملة بالخضار وقليل من الشوربة وقالت: هل تعلم لماذا سموني ضحى؟

قال لها: لأنك أجمل ما أشرق في سماءنا.

ضحكت ضحكة خفيفة وقالت: ربما، وأيضًا لأنني خبأت الليل في فمي، وأنت ستأكل هذا الطعام كله مثلما أكلت أنا الليل.

ثم وضعت الملعقة في فمه، وأثناء تناوله الطعام سألها: أين والدك؟

قالت: هو مشغول جدًا مع الضيوف؟

سألها: أي ضيوف؟

قالت: ضيوف أخي الأكبر أمجد، ويبدو أنهم من علية القوم.

سألها: لماذا؟ هل نزلوا بطائرة خاصة فوق سطح بيتنا الضعيف؟

ابتسمت وقالت: لا. فقد أقام أبي وليمة كبيرة لهم، فيها مشويات ومقليات ولحوم وأسماك وحلوى. إنه كما تعلم لا يفعل ذلك إلا للأشخاص المهمين عنده

مد يده في طبق الشوربة وأخرج قطعة اللحم وقال وهو ينظر إليها: كنت أشك أني مهم عنده، والحمد لله تأكدت بعد أن أصابني من تلك الوليمة شيء.

انحنت ضحى برأسها لأسفل ولم ترد، فرفع رأسها إلى مستوى وجهه بسبابته المرتعشة وقال لها بعد أن نظرت إليه: أنا لا أريد من هذا الكون شيء سواكِ. هل تعلمين من سماك ضحى؟

قالت: أبي

قال: لا. بل جدتك رحمها الله. وكأنها كانت تعلم أنكِ سترثين عنها روحها الطيبة الطاهرة، وإنسانيتها التي كانت دائمة الفيض لكلَ شيء حولها. أما هم فلم يرثوا سوى دم يجري في عروقهم. ولا أظنه دمًا، بل ماء ملون بلون أحمر مغشوش.

قالت له: لا تحزن يا جد...

فقاطعها: أنا لست حزينًا منهم، بل حزين عليهم. إنهم لم يستطيعوا أن يروا أنفسهم غدًا، ولكنني أراهم الآن وهم ملقون في غرفة هادئة مثل الصحراء وموحشة مثل القبر، أستطيع أن أرى صورهم المعلقة في صالات بيوتهم وعليها

شريطة سوداء رغم أنهم مازالوا أحياء. إنهم لم يتصورا مرارة قتل إنسان حي بالتجاهل رغم أنه مازال قادرًا على أن يرد عليهم تحياتهم، وأن يضحك في وجوههم عند الفرح، وأن ينقلب مقفل الوجه إذا ما أصابهم مكروه. ولكنهم سوف يرون ذلك لا محالة. هذه سنة الحياة يا طفلتي.

قامت ضحى بمحاولة إخراج الجد من نوبة حزنه وقالت بنبرة تحدي: حسنًا يا كبير العائلة، أعرف إذًا أنك لن تأكل الحلوى معي، بل زد من همومي وألمي. أليس حسبي تلك المادة الكئيبة التي رسبت فيها للمرة الثانية؟

ضحك الجد وقال: يا نعمات الصغيرة. لا تعرفين أن تكتمي شيء لمدة طويلة. ولا يحتل الكذب مكانًا في قلبك.

تعجبت من رده ولم تلاحظ أنها نسيت فقالت: لا أفهم ماذا تقصد.

قال لها: أقصد أنني سآكل الحلوى معك. والآن افتحي الراديو الجديد لأجربه بنفسي.

فتحته على القناة التي يفضلها، وجلست تسمع معه بعض الأغنيات، ثم تركته منسجمًا مع أغنياته وانصرفت.

(٣)

بعد أن انتهى حفل الغداء، وأثناء مساعدة ضحى لأمها بالمطبخ، قالت لها: بالمناسبة يا أمي. جدي مستاء من قدر الطعام الذي أنزلتيه له هذه المرة.

قالت لها ببرود: هذا هو الكم المعتاد في كل مرة، وأولى له أن يشكرنا، نحن نعامله أفضل من ابنه الآخر وزوجته التي لا تضع طبق أرز، وابنته علياء هانم التي لا تضع ولو قطعة عظم في الطعام.

قالت لها ضحى: ولكن على الأقل كنا نضع له قطعتين لحم أو ثلاث، خاصةً وقد أقمنا وليمة كبيرة اليوم.

قالت لها: ومن أين سيعرف أننا أقمنا وليمة؟

قالت ضحى: أنا تحدثت معه قليلًا وأخبرته بين طيات الكلام بذلك.

أطلقت أمها عاصفة شديدة في وجهها وصاحت قائلة: هل أنتِ مجنونة؟ من قال لكِ أن تخبريه؟

قالت لها: لم أقصد....

رفعت الأم صوتها أكثر وقالت: لماذا تتصرفين هكذا؟ أتريدين أن تخلقي لنا مشاكل مع جدك؟

كان شّباك مطبخ سامي يطل على خلفية البيت، والتي يطل عليها شبابيك المطابخ والغرف الداخلية في البيت كله، وكان سهل على سكان البيت أن يسمعوا صوت المتكلم خاصةً لو كان مرتفعًا.

تابعت الأم: أيتها الغبية... إن والدك هو الابن الأكبر، ولا يجب أن يستاء منه هذه الأيام. ألا تريدين أن ينوبنا من الحب جانب!

تدخل سامي والد ضحى وقال لهما بغلظة: حسنًا. دعونا نحل الأمر من جذوره. من الآن لن تنزل ضحى إلى جدها إلا في المناسبات التي تجمع العائلة كلها.

كان الجد قد وضع سماعات الأذن الجديدة التي أهدتها له ضحى، واستطاع أن يسمع كل ما قيل، وبدء الدخول في نوبة حزن كبيرة لعدم زيارة ضحى له بعد ذلك، ولكنه تذكر أن مناسبة هامة قادمة قريبًا جدًا، وسوف يرى حفيدته الغالية بعد أيام قليلة، ولكنه حزن لما بعد ذلك، ففكر في حل يخرجهما من هذه الأزمة.

بعد يومين تجمعت العائلة بمناسبتي عيد شم النسيم والذكرى السنوية لوفاة الجدة نعمات، وكان التجمع في شقة شاكر في الدور الثالث. دعا شاكر ابنه ماندو ليصطحب الجد لأعلى، فنزل وقال له: أبي يدعوك للحضور لنبدأ الغداء، فحاول الجد إبداء استياءه من تصرف الطفل بإغلاقه الراديو فقال له: انتظر سوف أحضر العصا ثم آتي معك.

قال له الطفل وهو يرحل: حسنًا سأسبقك لأعلى.

فقال الجد محدثًا نفسه: لن يجدي تمنُّعي شيء، يبدو أن المشكلة أكبر من مجرد الاحتجاج بالتدلل.

(٤)

قرر الجد أن يصعد وحده من شقته بالدور الأول إلى شقة ابنه بالدور الثالث، أخذ عصاته وظل يصعد السلم وهو يمسك بسور السلم بيد والعصا بيد. وأخيرًا وصل إلى شقة شاكر، وقد حاول بكل جهده أن يخفي انهاكه، ولكن أعصاب يده كانت تخونه، فعجز عن ضبط مواضع العصا على الأرض فصار يترنح قليلًا يمينًا ويسارًا.

وبمجرد أن وصل جلس على كرسي في مدخل الشقة، وأخذ يمسح بيده المرتجفة العرق الذي غطى وجهه وأغمض عينيه، بدأ عقله في التشتت من كثرة التعب، لكنه حاول المقاومة ليثبت حضوره القوي بينهم مثلما كان في الماضي.

توجهت ضحى نحوه من بعيد، فرآها بالكاد، وقد بدت له وكأنها تخبيء جناحين أبيضين خلف ظهرها، ثم فجأة اعترض طريقها أبوها وأمها من اليمين واليسار وهما يحملان شوكتين كبيرتين وفوق رأسيهما قرنين حمراوين اللون، وخلف ظهريهما ذيل كبير، ثم وقفا أمام ضحى وتشابكتا شوكتيهما أمامها.

فقامت ضحى بفرد جناحيها وطارت لأعلى فوق الشوكتين، ثم نزلت أمامهما وواصلت السير نحو جدها، فقام والدها بلف ذيله حول عنقها، حينها قام الجد منتفضًا وسار نحوها مشيرًا بعصاته نحو ذيل سامي، فخرج من العصا شعاع أحمر تتطاير منه شرارات حارقة فأحرق ذيل سامي.

في هذه الأثناء أتى شاكر من خلف أبيه وضرب عصاته لتقع على الأرض، فحملها وكسرها نصفين بيديه. فعاد ذيل سامي يخنق رقبة ضحى، وبدأ الأحفاد في قص جناحيها بمقصات كبيرة مع صراخها.

وصل غضب الجد إلى قمته، وقام بنفض جسده عدة نفضات قوية أزالت آثار الشيخوخة عنه، فطار الشعر الأبيض من رأسه ولحيته ونبت الشعر الأسود، وسقطت التجاعيد عن وجهه ويديه واختفت العروق الزرقاء البارزة تحت جلد أصبح نضر و مشدود. ثم أمسك بعنق شاكر وأطاح به بعيدًا، وصرخ في الأحفاد فطاروا جميعًا لأعلى حتى ارتطموا بالسقف. حينها أقبلت علياء نحوه مندفعة ومعها مقص كبير فضربها بقوة فسقطت على الأرض، ثم أمسك بالمقص وتقدم نحو سامي وزوجته، فسلطا ذيليهما نحوه، فقام بقصهما ونزع الشوكتين منهما وثبتهما في قدميهما.

ثم أمسك بيد ضحى التي تحولت حينها إلى نعمات زوجته في شبابها وجمالها، ثم بدأوا في الرقص الهاديء أمام فريد الأطرش وهو يغني فوق مسرح وجميع الأضواء خافتة حولهم عدا ضوء المسرح، وكان يغني أغنيتهما المحبوبة: «يا زهرة في خيالي..سقيتها بفؤادي..جنت عليها الليالي..وأذبلتها الأيادي»، حتى صاح أحد الجمهور: حسنًا. لنبدأ الآن. هلا انضممت لنا يا والدي.

(٥)

فتح الجد عينيه، بعدما راح في غفوة خاطفة، ليجد جميع أفراد العائلة جالسين حول المائدة، وقد بدأ بعضهم في تناول الطعام. تقدم الجد حتى وصل إلى المائدة، وجلس ينظر إليهم بتعجب وحزن، فلم يصيبهم أي مكروه كما تخيل، وأخذ ينظر إلى يديه فإذا بها تمتليء بالعروق والانكماش. شيء واحد فقط تخيله ووجده حقيقي وهو براءة ضحى التي كان أمامها طعام قليل بينما وجد أمامه طبق مليء باللحوم والأرز، فخمن أنها بدلت طبقها بطبقه.

أخذ يفكر في حل ليسمح ابنه سامي لضحى أن تزوره كما كانت ولا يمنعها عنه. قال في نفسه: سأنتظر فقط اللحظة المناسبة، وسأنطلق كما حلمت منذ قليل.

كان أمام الجد كوب من العصير، وكان يجلس أمامه الطفل ماندو، والذي شرب العصير الخاص به، ثم نظر إلى كوب جده وقال له: جدي، هل تريد هذا العصير؟

ثم بعدها مباشرةً مد يده وأخذ الكوب وشربه، ثم قال وهو ينظر نحو أكواب أخرى على السُفرة: شكرًا يا جدي.

نظر الجد إلى الجميع فوجدهم يحملقون فيه بشكل لافت، فشعر بالإحراج وقرر الانطلاق. وقف فجأة وقال: كيف تفعل ذلك أيها الولد الغير مؤدب؟ هل رباك والديك على أخذ شيء بدون استئذان أم نسوا أن يربوك؟

قالت أم الطفل وهي تنظر للجد باستنكار: إنه مجرد كوب عصير يا عمي. هل تؤثِر نفسك على حفيدك بكوب عصير؟

قال بنبرة غضب أعلى من سابقتها: الآن قد تأكدت أنه لم يربى بالمرة، تتحدثين عن شيء تافة، ولم يثير سلوكه الشائن أي انتباه عندك.

قال سامي بصوت اختفت فيه غلظته المعهودة: اهدأ يا أبي.

رد عليه بعد أن شعر بالخوف في صوته: أبي؟ هذه الكلمة غريبة على لسانك يا سامي بيه، أنت فقط تحفظها، وصرت لا تفهمها ولا تعرفها.

قال شاكر: أبي. ماذا حدث لكل هذه الـ...

قاطعه قائلًا: ما حدث أنكم نسيتم أن أباكم مازال حيًا. نسيتم ماذا قدم لأجلكم. نسيتم أنه كان يطعمكم خير ما يؤكَل، والآن تطعموه خير ما يلقى في صندوق القمامة. فإذا أردتم أن تعتبروني قد مت فقولوا ذلك، لأنكم لن تروني مرة ثانية.

ثم نظر إلى زوجة سامي وقال: ولا تقلقوا. سوف ينوبكم جميعًا من الحب جانب.

ثم ترك المائدة وتوجه نحو الباب حينها سقطت العصا على الأرض، فالتقطها شاكر وناوله إياها وهو يحاول إيقافه عن المغادرة، فضرب العصا في الحائط فانكسرت وقال له: هاهي العصا التي تريد أن تسكرها يا سي شاكر.

ثم مشي خطوتين إلى الأمام، وبعدها أخذ توازنه يختل وسط ذهول من العائلة، فركضت نحوه ضحى وأمسكت بيده وقالت له وعيناها تدمع: إما أن تبقى أو أن أرحل معك. لن أتركك يا جدي، و أعرف أنك لن تقبل بأن تتركني.

قال لها وهو يمسح بيده على خدها: بل ابقى معهم، حتى تعلمي أبنائهم ألا يكونوا مثلهم.

مشى الجد نحو الباب ومعه ضحى حتى ازداد توازنه في الاختلال، وأخذ ينزل مع كل خطوة لأسفل، حتى سقط على الأرض إثر دوار تبعته غيبوبة.

وبعد أن أفاق منها وجد حوله كل أبناؤه وأحفاده، قام ابنيه بحمله إلى أريكة كبيرة، وجلس أحفاده حوله يدلِّكون أطراف يديه وقدميه، وأتوا له بكوب من عصير الليمون، وأخذوا يعتذرون له ويتوددون إليه.

وقام أحدهم بفتح الراديو وأخذ يبحث عن أغنية لفريد الأطرش، فقال الجد بصوت منهك: إن كنت تبحث عن الأطرش، فهذا ليس موعده.

ضحك الجميع وقالت له ابنته علياء: سيظل فريد الأطرش يسيطر عليك يا أبي أيًا كان حالك، ولكنك من الآن لن يكون حالك إلا خير يا والدي الغالي، وسوف تعيش معي لأخدمك بنفسي.

بعد قليل قال سامي محاولًا اختراق الجمع الذي أحاط بالجد: الكل يفسح الطريق لي، لقد حضر سامي ومعه هدية لأبينا العظيم.

كان سامي قد أتى لأبيه بعصا جديدة من خشب الزان، ولها رأس محفوفة بفصوص صغيرة من الذهب، وتتوسطها ياقوتة بيضاء لامعة، قال له: تفضل يا أبي، هذا من خيرك الذي نعترف أننا طمعنا فيه، ولكننا الآن لن نطمع إلا في رضا الله ورضاك. ومن الآن لن يعيش أبي إلا بالقرب من حبيبته، لذا سيعيش معي ومع ضحى.

انشرح صدر الجد و فتح فمه بالكامل ليتسع لضحكة كبيرة حتى دخلت الدموع فيه وقال: ضحى! هذا كثير علي يا سامي.

قال شاكر لابنه ماندو بغضب: من الآن إن أصدرت أي فعل يغضب جدك فسأُكسِّر عظامك.

رد الطفل: أنا آسف يا جدي، ومن الآن أنا اسمي محمود. محمود شاكر محمود، وليس ماندو.

ازدادت الدموع في مُقلتي الجد، وظلت مشاعر الحب التي تتدفق عليه منهم تزيده رغبة في البكاء، فشعر برغبته في الانفجار في البكاء، ولكنه لم يرد إفساد حفلهم فقال لهم وهو يهم بالوقوف: أريد أن أذهب إلى الحمام.

فقال الجميع و هم ينتفضون للمساعدة: سنوصلك إليه.

قال لهم: بل دعوني أمشي إليه بعصاتي الجديدة، وأتذوق في كل خطوة بها طعم حبكم لي.

انصاعوا جميعًا لرغبة الجد، وتركوه يسير إلى الحمام، ولكنه شعر أنهم يترقبونه ويترقبون خطواته، فتماسك رغم زيادة رغبته في البكاء إلى أقاصيها مع كل خطوة وكل دقة تدقها العصا على الأرض.

حتى وصل إلى الحمام، جعل بابه شبة مغلق، وأخذ ينظر إليهم من الداخل

ويتأمل عيونهم القلقة عليه، ونقاشهم الحاد المشحون بالتأنيب والأسف. أخيرًا وجد متسع للبكاء الحار مع استمراره في مراقبتهم. وبعد أن أنهكه البكاء، أغلق الباب وجلس فوق مقعد الحمام وأخذ يقبل العصا التي أهداها له سامي، وأخذ يقبل فصوصها الذهبية فصًا فصًا، حيث ذكرته بهم جميعًا، ثم أخذ يتأمل وجهي نعمات وضحى في الياقوتة المثبتة في منتصف العصا، ثم قبلها قبلة طويلة لم يرفع فمه من عليها بعد.

كلنا أبو المعاطي

كانت عينان أبو المعاطي مثبتتان بشغف على صورة لمجلس الإدارة في مكتب الحاج أبو عمار، ثم أخذ ينظر في كل مكان في المكتب وهو في ذهول أنه جالس في هذا المكان، وظل يدور بعينه في الحجرة حتى وصل إلى الشباك الزجاجي الذي يطل على ورشة العمال الكبيرة، ومن خلاله نظر إلى الموقع الذي يعمل فيه وينظر من خلاله لأعلى تجاه مكاتب المهندسين في الدور الثاني، دون أن يتخيل صعوده إلى هذا المكان يومًا.

فابتسم وقال: سبحان مغير الأحوال، كنت أفكر بالأمس أنني أحتاج لسنوات للصعود إلى هنا، وها أنا اليوم هنا. شكرًا للفضيحة التي رفعتني لأعلى وأنزلت ذوي الأنوف المتكبرة لأسفل.

حينها دخل الحاج أبو عمار صاحب المصنع، فوقف أبو المعاطي وأخذ يمسح يده من أثر الزيت في بدلته الزرقاء الخاصة بالعمال ليسلم عليه، فسلم عليه أبو عمار وطلب منه الجلوس. وقال له كلمة موجزة: لا أعرف هل أغضب منك؟ أم أعاقبك أم أسامحك؟ لكنني على كل حال أشكرك، وأتمنى ألا أسمع عنك سوى الخير بعد ذلك، ومن الآن سوف أباشرك بنفسي وسأوفيك حقك.

قال له أبو المعاطي: أعدك بأنني لن أتدخل في شئون غيري ثانيةً. وسوف أركز في عملي فقط.

ثم انصرف وهو على أمل أن يحجز يومًا مكانًا في الدور الثاني بين مكاتب المهندسين ومشرفي العمال.

بدأت القصة تحديدًا منذ خمس سنوات، عندما التحق أبو المعاطي منير صاحب الـ ٣٥ عام بمصنع «العمران للحديد والصلب» بالمنطقة الصناعية بمدينة العبور. وكان يظن أنه سيعمل فنيًا بمؤهله، فهو خريج معهد فني صناعي قسم ميكانيكا منذ عشر سنوات.

ورغم أن الفرصة لم تتاح له طوال تلك السنوات، إلا أنه قام بتجهيز فكرة تطوير الماكينات القديمة بدلًا من شراء ماكينات جديدة، عن طريق استبدال لوحات التحكم الإلكترونية بلوحات أخرى مستوردة وحديثة النظام، مع تغيير في بعض القطع الصلبة التي تتوافق مع السيستم الجديد، وبذلك تعمل الماكينات بكفاءة أكبر.

في بداية عمله بالمصنع لم يطرح الفكرة، فلم يبدأ فنيًا، بل بدأ عامل صنعته هي تسخين الأفران ونقل بعض القطع الصلبة الجاهزة إلى سيارات الموردين. وكان يمر على الفنيين وينظر إليهم وهو يعملون ويبتسم ويقول في نفسه: قريبًا إن شاء الله سأكون زميلكم وسأعمل معكم، بل قد تعملون أنتم تحت يدي.

مر عام كامل وهو مجرد عامل أفران، وقد وجد أن الأوان قد آن ليرتقي إلى المكان المناسب له، وخاصة أنه قد تزوج حديثًا، ويريد أن يعلي من راتبه ووضعه الاجتماعي. وفي يوم تحدث إلى رئيس العمال عن مؤهله وطموحه، وكان هو نفس رئيس العمال الذي اطلع على أوراقه وقت تقديمه للعمل في المصنع وقرر أن يعمل مجرد عامل، لذلك رفض مرة ثانية أن يغير أبو المعاطي مكانه، وقال له: كيف أفرط فيك وأنت بسم الله ماشاء الله مثل هوجان، وتستطيع أن تحمل طن حديد بمفردك، كما لدي عدد كبير من الفنيين.

لكنه قرر الانتظار لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، وبعد عام بدأت مشكلات الزواج في الظهور، فظهرت طباع زوجة أبو المعاطي من كثرة الشكوى إلى البكاء وترك البيت لأتفه الأسباب. بالإضافة إلى دوامها النظر إلى ما في يد غيرها ومعايرة زوجها بعدم كفاية بيته.

فذات يوم قالت له وهي مشحونة بالغضب: معاطي.. أريد كيشم ماشيم (كيتشن ماشين).

قال لها: وما هذا الشيء؟

قالت له: إنها آلة كهربائية تستخدم في المطبخ، وأنا أريدها.

قال لها: يبدو من اسمها أنها غالية.

قالت وهي تبدأ في البكاء: وهل سناء أفضل مني؟ أو راجي أفضل منك؟

قال لها: ومن سناء؟ ومن راجي؟

قالت: أبطال مسلسل «كبرياء الحب» التركي.

قال لها: أتقارنين بيننا وبين الأتراك وأنا بالكاد أقبض ألف جنية؟

فدخلت في نوبة بكاء وقالت: أنت هكذا دائمًا تكسر بخاطري وتملأ حياتي نكد.

ثم دخلت غرفتها وأغلقت الباب حتى صباح اليوم التالي.

خلال هذا العام ظل أبو المعاطي مشغولًا بنكد زوجته ونسي أمر الترقية بالمصنع، ولكن في العام الرابع حدث أمران في غاية الأهمية، الأمر الأول أن رئيس العمال قد تغير وهناك أمل أن يقبل الرئيس الجديد بترقيته، والثاني أنه سيصير أبًا وبدأ إحساس الأبوة يدفعه للتضحية من أجل ولي العهد.

إلا أن شيئًا لم يتغير سوى أن طفله قد وصل بالسلامة، أما الزوجة فزاد نكدها وبكاؤها مع بكاء رضيعها. وعن العمل فظل أبو المعاطي مكانه، بل ظهر له أنداد جدد في العمل لا يدري ماذا يريدون منه.

زادت الضغوط على أبو المعاطي، وزاد معها اليأس والكراهية وانعدم الحب. فصار يُحدِّث نفسه أثناء جلوسه أمام الفرن كأنه بوذي يصلي إلى النار التي أمامه. كان ينتقد كل الأوضاع الخاطئة و الأمور التي لا تروق له بتمتمة يسمعها الآخرين ولا يفهمونها إلا المتربصين الجدد. حتى أتى صبري عامل الأفران الجديد، وكان ذلك في العام الخامس، وصار صبري صديقًا مقربًا لأبو المعاطي في وقت قصير جدًا، فكان مستمعًا جيدًا وصبورًا لكي يبتلع بحر الكلام الذي يفيض من داخل أبو المعاطي الذي كان يثق به على كل حال، قبل أن يصاب بالجنون من كثرة الكتمان. فأصبحت التمتمة حوارًا يصبه في آذانه كل يوم، بل كل ساعة، في أوقات الراحات وفي شدة ضغط العمل، في الهاتف في العطلات الرسمية، وفي المواصلات أثناء رحيلهما سويًا.

وكان أبو المعاطي كثير الحديث معه عن المهندس تامر الذي لا يفقه أي شي في أي شيء، والسكرتيرة سالي التي تنافق الجميع بضحكها المستمر حتى نفاق نفسها عندما تنظر في المرآة، ورئيس العمال الجديد ضعيف الشخصية، والمدير العام المهندس أنور البخيل الذي لا يستحم ويضع عطورًا رخيصة ليخفي رائحة عرقه، والحاج شوقي أبو عمار صاحب المصنع الرجل الطيب إلى حد السذاجة، حتى أنهم يستغفلونه وينافقونه دون أن يشك يومًا في نفاقهم البادي للعيان، والعامل حسين اليد اليمنى لرئيس العمال والشهير بحسين كوبري الذي يتعمد تكليفه هو وصديقه صبري عن بقية العمال بحمل أوزان ثقيلة جدًا، ويظل هو وشلته المثيرة للشك يتهكمون من أبو المعاطي.

وكان أبو المعاطي يفسر اضطهاد كوبري له بأنه بتسليط من المهندس أيمن مسئول الميكانيكا بالمصنع لأنه عرض عليه يومًا فكرته وبدت في عينيه لمعة الغيرة، ورفض الفكرة تمامًا دون إبداء أي سبب، ومنذ ذلك الحين وهو لا يرفع عينيه عنه.

وقبل صعود أبو المعاطي لمكتب أبو عمار بثلاثة أيام كان حسين كوبري مارًا بجانب أبو المعاطي وكان بجواره منضدة صغيرة يضع عليها هاتفه وكوب شاي ساخن، فتعمد كوبري أن يركل المنضدة بقدمه أثناء مروره فطار الهاتف على الأرض وانسكب كوب الشاي على ساق أبو المعاطي، فقال صبري له: ماذا فعلت يا حسين؟ لقد سكبت الشاي على ساق الرجل.

قال حسين بعد أن أمضى ودون أن يلتفت إليهما: عفوًا.

قال أبو المعاطي: كما تحب يا كوبري.

كان حسين لا يحب أن يناديه أحد بهذا الاسم، فذات يوم كان فريق المصنع يلعب مع فريق شركة أخرى مباراة كرة قدم، وقام مهاجم الفريق المنافس بتمرير الكرة بين قدمي حسين فسقط بعدها على الأرض وأثار ضحك الجميع، فأطلقوا عليه «حسين كوبري».

قرر حسين الانتقام من أبو المعاطي، فانتظر حتى وقت الراحة حيث كان أبو المعاطي وصبري في الكافيتيريا، ووضع جهاز تسجيل صغير تحت كرسي أبو المعاطي ليسجل ما يقوله بشأن العاملين بالمصنع، فكان يعلم بحكم تربصه به أنه دائم الحديث عن عيوب كل الموجودين داخل سور المصنع باستثناء صديقه صبري.

عاد الصديقان من الراحة، وعادا إلى حديثهما. قال أبو المعاطي: ألم أقل لك إنها امرأة منافقة؟ أرأيت كيف ضحكت على كلام المهندس علي رغم عدم قصده قول شيء مضحك؟ أرأيت كيف نظر إليهما باستغراب؟

قال صبري: عجبًا لها.

قال أبو المعاطي: أما علي هذا فحكايته حكاية، لم يترك موظفة أو عاملة لم ينظر إليها. حتى السيدة ثريا موظفة المالية لم تسلم من عينيه رغم أنها تزن حجم هذا الفرن.

قال صبري: هي ثقيلة فعلًا، وعندما تسير...

قال أبو المعاطي: لكنها رغم ذلك ذكية، بعكس رئيس العمال الغبي، هو ليس غبيًا، ولكنه ضعيف الشخصية، كل العمال يضربونه على قفاه، ولا يتشطر إلا علينا.

قال صبري : لقد نفذ صبري منه.

قال أبو المعاطي: أرأيت نفذ صبرك وأنت صبري، ما بالك بصبري أنا؟

في هذه الأثناء مر المهندس تامر دون أن يلقي عليهما أي تحية، فواصل أبو المعاطي انتقاداته: وهذا التافة الذي اسمه تامر، أشعر أن لديه نقص ما يحاول تعويضه بالعجرفة والتكبر على الناس. أظنه لايملك أي خبرة في عمله لولا أنه ابن بنت خالة الحاج أبو عمار، هذا الرجل الساذج الذي يصدق كل النفاق الذي ينضح من وجوه المجاملين الذين حوله، ولا يعرف أن هناك الكثير ممن لا خبرة لهم ولا ضمير يدسون أنيابهم في جيبه ليمتصوا ماله دون حق ويكبدونه خسائر كبيرة. هذا غير روابط الشر التي تحارب بعضها وفوقها رابطة ابن العاهرة هذا المسمى بحسين كوبري.

وظل أبو المعاطي يفند كل من بالمصنع فردًا فردًا رغم أنه فندهم قبل الراحة، وبالأمس أيضًا قبل الراحة وبعدها، وأول أمس وهكذا.

في صباح اليوم التالي كان حسين قد حضر مبكرًا ليأخذ جهاز التسجيل. وفي وقت الراحة، وكان معظم العمال والمهندسين يتجمعون في الكافيتريا وضع حسين كارت الذاكرة الذي يحمل تسجيل أبو المعاطي في سماعات كبيرة خاصة بالكافيتريا وقام بتشغيله.

بدء كل من كان حول الكافيتريا في سماع ما قاله عنهم، وكان أبو المعاطي نفسه حاضرًا بينهم، إلا أنه اكتشف سريعًا صوته وتعرَّف على حديثه فتسلل بعيدًا إلى الحمام.

وفي خلال دقائق كان كل المهندسين والعمال حاضرين يسمعون ما يقوله أبو المعاطي، ثم أخذوا يرشقونه غيابيًا بوابل من السُباب، وبدأوا يبحثون عنه في كل مكان، لكنه استطاع الهرب، فأمسكوا بصبري زميله وشريكه في الحوار مثل اللص، واقتادوه إلى مكتب أبو عمار الذي قضى بإعطاءه خصم ثلاثة أيام ورفت

أبو المعاطي من المصنع.

وفي الليل أثناء مكالمة هاتفية قال أبو المعاطي لصديقه بانفعال بالغ: أنا لا أستحق هذا العقاب، لقد قلت الحقيقة وهو جميعًا يعلمون ذلك. إنهم مستاؤن لأني عريت مساوئهم ليس لأني تحدثت عنهم كلامًا وقحًا يسيء إليهم. أتعرف أن لا أحد منهم ليس فيه ذلك العيب الذي يعاقبوني عليه؟ فكلهم يتحدثون عن بعضهم بأسوء ما يقال عن إنسان من صفات ذميمة.

وأخذ يشتكي لصديقه في الهاتف حتى أرهقت حنجرته من الصياح و طبلة أذن صديقه من ضربات الصوت العالي، فاضطرا أن ينهيا المكالمة. ولكن صبري لم يرضى بمصير صديقه المسكين، ففكر في طريقه لإعادته إلى العمل. وبعد تفكير طويل تذكر قول أبو المعاطي أن لا أحد لا يتحدث بشأن زملاؤه، فاستخدم نفس الحيلة التي دبرها حسين لهما. ففي اليوم التالي قام بتوصيل هاتفه في أحد الشواحن ووضعه في منطقة التدخين بالمصنع، والتي يتناوب عليها العمال والمهندسين في أوقات مختلفة من اليوم، وفي نهاية اليوم أخذ الهاتف ورحل.

في اليوم التالي، وهو نفس يوم صعود أبو المعاطي لمكتب الحاج أبو عمار، انتظر صبري الحاج أما بوابة المصنع ليخبره أنه يريد التحدث معه، أنصت إليه أبو عمار أمام البوابة إلا أن صبري طلب بإلحاح الحديث معه في المكتب فوافق.

وفي وقت الراحة نزل أبو عمار بنفسه إلى الكافيتريا بخطوات سريعة وبوجه غاضب أثار انتباه وقلق كل من رآه. وقام بوضع كارت الذاكرة الذي أعطاه إياه صبري في السماعات وقام بتشغيلها.

كانت بداية الصوت حديث المهندس تامر مع المهندس علي، قال تامر: أتعرف أنني ليس لي علاقة بالهندسة، كنت أرغب في الالتحاق بكلية الحقوق، لكن أمي أصرت على دخولي هندسة، وكانت حجتها أنها تضمن لي مكان في مصنع أبو عمار، فهو لا يستطيع رد طلبها، لأنه يخاف من خالته التي هي جدتي.

قال علي: خير ما فعلت. أريد أن أنهي هذه السيجارة فورًا حتى ألحق بسالي. ستصعد الآن إلى مكتبها وسأكون في ظهرها.

قال تامر بضحكة خبيثة: أتريد أن تصاحبها؟

قال علي: أنا لا أصاحب. أنا أعاين و أمتع نظري فقط. سلام الآن، لقد وصلت.

رحل المهندس علي، وبعد صمت لدقيقتين كلَّم أحدهم المهندس تامر: يا هندسة أعطني سيجارة.

فرد عليه تامر: ليس كلما ترى وجهي تطلب سيجارة. تفضل يا كوبري ولا تكررها مرة ثانية. سلام

ثم قال حسين كوبري: حسنًا يا ابن الباردة.

ثم قال بصوت منخفض: يا حامد أحضر الرجال وتعالوا. أنا في منطقة التدخين.

وبعدها تحدث إلى الرجال قائلًا: علينا أن نبدأ الآن قبل أن ينهي فرد الأمن صلاته في مصلى المصنع ويعود إلى البوابة.

حامد سيفتح البوابة، ومجدي وإبراهيم سيخرجان الموتور ويضعانه في السيارة البيضاء التي تقف خارج سور المصنع.

بعدها دخل رئيس العمال ومعه المهندس أيمن، قال أيمن: دعك منها إنها امرأة تافهة ولا تفهم ماتقول.

قال رئيس العمال: ليس أنا من تحرجه التي اسمها سالي، أتجعلني أنا صغيرًا أمام رجالي وتنافق طوب الأرض؟

قال أيمن: إنها فعلا منافقة مثلما قال أبو المعاطي هذا. ولكن لها مؤهلات أخرى.

أوقف الحاج أبو عمار السماعات بعدما لم يتبقى أحد واقفًا أمامه ليسمع المزيد.

قال أبو عمار لصبري: أرسل لأبو المعاطي حتى يأتي إلى مكتبي اليوم.

ثم صعد إلى الدور الثاني ووقف أمام باب مكتبه، وطلب من المدير العام أن يجمع كل العاملين والمهندسين في ساحة ورشة المصنع، وقال لهم جميعًا: أول أمس أراد الجميع الفتك بزميل معنا لأنه تحدث بشأن غيره، واليوم تأكدنا أن أبو المعاطي لم يخطيء وحده، بل هناك الكثير من أخطأوا أخطاءً أكبر من

خطأه بمراحل، ومن الغد سنبدأ في التحقيق والعقاب و الطرد إن تطلب.

وبالطبع هناك من سيغادروا المصنع وهم يعرفون أنفسهم، وهناك من سيعودوا إليه مثل أبو المعاطي، ولا أظن أنه يستحق أن نعايره أو يعايرنا، فكلنا أبو المعاطي و أبو المعاطي نحن، هو يمثلنا ونحن نمثله.

ثم توجه إلى مكتب المدير العام ليرتب لموعد التحقيق، بينما وصل أبو المعاطي إلى مكتبه وانتظره فيه وبداخله أمل كبير أن كل شيء أخيرًا سيتغير، فهو الآن ليس أمام رئيس العمال أو مهندسًا ما حاقدًا، بل أمام صاحب المصنع المكتشف للتو جحور الخداع في أرض مصنعه والساعي للتطهير. وبالفعل أتاح لأبو المعاطي فرصة جديدة عندما قال له: أنا أشكرك، وسأوفيك حقك.

«وأخيرًا التقيا بعد صبرٍ طويل، واشتبكتا أيديهما في الحلال.

قال لها: أحبك أيتها المنتقبة القصيرة. وردت عليه بابتسامة من خلف النقاب رآها في عينيها المطبقتين قائلة: أحبك أيها الملتحي الوسيم»

توقف نادر، أو الشيخ نادر كما يطلقون عليه، عن مسح أسنانه بالسواك ليعطي مساحة كبيرة لابتسامته العريضة سعادةً بالنهاية التي أعجب بها وحلم بها كثيرًا. إنها المرة الثالثة التي يقرأ فيها رواية «حبنا في الله يدوم» بين قوسين (قصة منتقبة وملتحي)، وفي كل مرة يبتسم نفس الابتسامة العريضة.

أما الآن فكان الوقت المثالي الذي أنهى فيه الرواية وأغلقها، فقد أقبل عليه زميله المتطفل صفوت وعينيه على الرواية، ويعرف نادر جيدًا ماذا سيقول له مثل كل مرة: ألن تدعك من هذا المُحن الإسلامي المثير للملل؟

وبالفعل، بمجرد أن وصل إليه قال له: يا له من صباح، إنني أشم رائحة المشاعر الإسلامية الجياشة منذ دخولي باب الشركة. لا أعرف كيف مهندس متفتح العقل مثلك يقرأ مثل هذه التفاهات.

قام نادر من أمامه وتوجه نحو كولدير الماء ليشرب وهو يقول له: أليس أفضل من الحب المُحرم المستهلك للمشاعر هباءً؟

ثم قام بملىء كوب ماء باردٍ وبدأ يشرب. أراد صفوت التلاعب به فقال له وهو يشرب: هل سميت الله أولًا؟

فلفظ الماء من فمه كأنها وقفت في حلقه وقال لنفسه: لقد نسيت حقًا. ونسيت أن أشرب وأنا جالس. فجلس وسمى الله، ثم شرب ثلاث مرات.

في هذه الأثناء دخل شاب قاعة الإدارة التي يعمل فيها نادر وصفوت وعدد من الموظفين والموظفات في الشركة المصرية الخليجية للاستشارات الهندسية. ظل واقفًا بعيدًا، وأخذ ينظر بيمينه ويساره حتى وجد صفوت فناداه.

قال صفوت لنادر: إنه زميل جديد معنا، انتظر سأعرفكما ببعضكما.

ثم ذهب إليه وراح يتحدث معه وهما ينظران إلى نادر.

ثم توجها إليه، وعندما اقتربا منه سمع نادر صفوت يقول لزميلهما الجديد: انتظر، سوف أريك الآن.

قال لنادر: أعرفك بزميلنا الجديد بهاء. بهاء أعرفك بنادر واحد من أكفأ المهندسين بالشركة.

وبعد تعارفهما، جلس الثلاثة في صمت حتى بدأ صفوت بالكلام سائلًا نادر: قل لي يا شيخ نادر لماذا تقولون بأن الأغاني حرام؟

فرد عليه: لأن الله حرمها.

سأله: ولماذا حرمها الله؟

قال له: لأنها تؤذي الإنسان.

سأله متهكمًا: كيف تؤذيه؟ أتسبب له حساسية على الصدر مثلًا؟

قال له: بل تصيب قلبه بجفاف أو ضمور.

قال له: هل لذلك تكفرون المغنيين؟

بدأ نادر في الدخول في نوبة غضب، وأخذ يطلق الزفير عن صدره بشكل سريع ومتتالٍ، فأشار صفوت إلى زميله الجديد نحو نادر قائلًا بهمس: انظر! سيبدأ الآن.

قال نادر: ليس كل من فعل شيء محرم يعد كافرًا.

قال صفوت: ليس كافرًا. هو فاسقًا إذًا.

توجه نادر نحو مكتبه وأخرج كيس بلاستيكي من أحد الأدراج، وقام بنفخه ثم ضربه في الحائط ليحدث صوت فرقعة. بعدها بدأ في التقاط أنفاسه تدريجيًا.

ضحك صفوت وزميله وقال له: ألم أقل لك أنه سيفعل ذلك؟

قال له نادر بعد أن هدأ: أكنت تقصد أن تتسلى أنت وصديقك؟ حسنًا دعني أتسلى أنا الآخر.

كان نادر طويلًا وضخم البنية ، أما صفوت فكان أيضًا قويًا لكن كان طوله لا يتعدى ١٦٠ سم .

اقترب منه نادر وقال له: لقد تذكرت أنني لم أسلم عليك جيدًا اليوم. ثم قام باحتضانه ورفعه لأعلى وقام بعصر خصره بقوة، فصار صفوت يصيح من الألم حتى قال بهاء: لقد وصلت نانو.

توقف الشابان عن المزاح وتسمرا في مكانهما لينظرا نحو الفتاة التي وصلت للتو.

ترك نادر صفوت لينزل على الأرض وطأطأ رأسه لأسفل وعاد إلى مكتبه، بينما وقف صفوت يحاول فرد ظهره من الألم وهو يقول لبهاء: برافو عليك يا بهاء. لقد عرفتها سريعًا.

قال بهاء: من لا يعرف الصاروخ عندما يراه من الجو. إنها فاتنة.

قال له صفوت: انظر إلى ساقيها العريضين اللذان حدثتكما عنهما، وإلى ذراعيها العاريين.

رد بهاء وهو يحرك لسانه فوق شفتيه: فَرَس عربي أصيل.

قال صفوت: لكن لسوء حظك أنها تفرد شعرها اليوم، فأحيانا تقوم بعمل شعرها ذيل حصان، وحينها تظهر رقبتها الممتلئة بالنمش.

قال بهاء: ذيل الحصان أفضل لها في هذا الحر حتى تشعر بالانتعاش.

ضحك الشابان بينما ظل نادر جالس في مكتبه يستمع إليهما، ويردد الاستغفار بعد كل وصف يطلقونه.

بعد قليل حضر زميلين آخرين إلى القاعة فوجدا صفوت، فاتجها إليه وتشاركوا في الحوار. سمع نادر صفوت يقول لأحدهما: أنت تتحدث عن الشاب الذي كان يتحدث معها في الأتوبيس. ألم ترى الشابين اللذين صعدا معها في مصعد الشركة أول أمس.

قال له: ربما صعدت معهما بالصدفة.

رد عليه: لا. بل أتيا معها من الخارج. ومن يدري لعلمها خرجا معها من البيت.

أخرج نادر مجموعة أكياس من مكتبه وقام بنفخ واحدٍ وضربه في الحائط، فالتفت كل المتحاورين إليه ثم عادوا لحوارهم لعلمهم بعادته.

تابع أحدهم: لقد سمعت أنها تتعاطى الهيروين، وقد تأكدت من ذلك بنفسي.

سأله صفوت: كيف تأكدت؟

قال: الأسبوع الماضي كان أنفها أحمر، وكان لديها رشح مستمر، وكانت تضع منديل على أنفها طوال الوقت.

قال صوت جديد لم يكن بين المتكلمين في البداية: أليست تلك أعراض الأنفلوانزا؟

نظروا إلى المتكلم فإذا به شاب ذو لحية طويلة. إنه نادر قد دخل برأسه داخل حلقة الشباب وفي يده كيس بلاستيكي فارغ.

رد عليه صفوت: وكذلك أعراض إدمان.

قال له أحدهم: أتعرف يا شيخ لماذا حقيبة يدها منتفخة؟

قام بنفخ كيس وضربه في مكتب وقال له بحماس: لماذا؟

أجابه: لأنها تحتاج أحيانًا أن تضع فيها بعض الملابس.

قال آخر ضاحكًا: نعم عندما تحتاج لخلعهم لتبدو أكثر إثارة.

ضحك الجميع فقاطعهم نادر بغضب قائلًا: كفى.

ثم عاد إلى مكتبه وهو يقول: يالكم من شباب فاسد. اللهم أعيذنا من هذه الإنسانة.

ثم تفرقوا جميعًا خوفًا من أن يشك أحد في أمرهم.

(٢)

في نهاية أحد أيام العمل توجه نادر إلى المصعد للنزول إلى باب الشركة، عندما فُتح باب المصعد وجد فيه شابتين، نظر نظرة خاطفة إلى فتاة وجدها أمامه وكان يعرفها. إنها جميلة، الموظفة الثرثارة التي لا تكف عن الكلام في الهاتف، كان نادر يظن أن هاتفها بدون شريحة لأنها كانت تتحدث فقط دون أن تسكت لتسمع رد مَن تكلمه.

دخل نادر المصعد ووقف في ركن بالمصعد غاضًا طرفه عن الشابتين حتى قالت جميلة لصديقتها: أنتِ تكذبين يا نانو.

فنظر أمامه فوجد نيللي الفتاة اللعوب التي يقال عنها شر ما يقال عن الفتيات سيئات السمعة.

أمسك نادر بهاتفه بينما أطلقت جميلة عاصفة من الثرثرة: من أين اشتريت طلاء الأظافر هذا يا نانو؟ احذري فإن بائعين مستحضرات التجميل كلهم لصوص. لقد خدعوني في قلم روج من قبل، هم وبائعي الدجاج الذين خدعوا أبي ذات مرة بالرغم من أنه لا يحب الدجاج تصوري! غريب هذا الرجل، ولكن ذلك أمر جيد بالنسبة لي، فأنا آخذ نصيبه من الدجاج بالإضافة إلى نصيبي. سامحه الله، لأنه يتسبب في فشل نظامي في الرجيـ...

طاااااخ

انتبهتا نيللي وجميلة إلى صوت الفرقعة فوجدتا نادر يمسك بكيس ممزق من أسفله بعد أن قام بضربه في باب المصعد.

فسكتتا في ذهول في البداية، ثم أخذتا تضحكان ضحكات مكتومة. فُتح باب المصعد وهرول نادر إلى الشارع، بينما سبقت نيللي جميلة محاولة الهروب فأمسكت بذراعها وقالت لها: هل تعرفين لماذا قام نادر هذا بفرقعة الكيس؟

أوقف نيللي فضولها لتعرف السر من جميلة.

تابعت جميلة: هي عادة عند المتشددين يقومون بها حتى تهدأ أعصابهم. فصوت أي فرقعة أو انفجار يشعرهم بالسعادة.

أخذت نيللي تفرك شعرها وتنظر لأعلى وقد بدا عليها الشرود.

أمسكت جميلة بيد نيللي من فوق رأسها لتعيدها للانتباه وقالت: أتدرين أن هذا المتشدد يتمنى لو يفجر كل نساء الشركة؟ حينها سيقف بين أشلائنا ويضحك مثل الطفل الصغير الذي يُفاجَيء بهدية.

قالت لها نيللي: ولماذا يكرهون النساء؟

قالت: إن لهم أفكار غريبة وشاذة بشأننا. إنهم يعتقدون أن الشيطان يتمثل في النساء، وكلما زادت المرأة في مساحيق التجميل في جسمها كلما كانت أكثر شبهًا من إبليس. أتتذكرين عندما كان يغمغم في المصعد حين كنا أمامه؟

ردت نيللي سريعًا: نعم صحيح. ترى ماذا كان يقول؟

قالت: إنه كان يتعوذ منا، بالتأكيد كان يرانا كالخبث والخبائث.

ضحكتا ضحكة خفيفة، ثم عادت جميلة للثرثرة قائلة: إن خالتي كانت كذلك، يقال أن أحد الجان قد لبسها في الحمام لأنها سكبت عليه عصير ليمون بارد، إنها لم تشفى إلا بـ....

قاطعتها نيللي قائلة وهي تتقدم نحو باب الشركة: عذرًا يا جميلة، هناك سيارة تنتظرني بالخارج، وعلي أن أرحل الآن.

وبعد أن هربت منها نيللي قالت: ترى أي رجل ينتظرك؟ يبدو أن المتشدد هذا كان يرى شيطانًا فعلًا. إنكِ من كثرة ما يقال عنك يقول لك الشيطان

(يا طنط نانو) .

(٣)

بعد أسبوعين كان موعد الحفل السنوي للشركة للاحتفال بعيد تأسيسها الثلاثون، ومثل كل عام تختار الشركة خمسة موظفين مثاليين لتكريمهم بشهادة تقدير ومبلغ مالي جيد، وكان من حظ نادر أنه كان واحدًا من الفائزين الخمسة.

ارتدى بذلة سوداء أنيقة ورابطة عنق نبيتي وجلس ممتلئًا بالانتشاء والسعادة لأنه سيستلم جائزة، فقد بُلِّغ بفوزه من قبل مديره المباشر في الليلة الماضية.

وبعد أن حضر الجميع صعد مالك الشركة ومدير الشركة وسكرتيرته على

المسرح، وبدأ المدير في إطلاق النكات المثيرة للملل التي لم تثير ضحك الجمهور إلا بعض المجاملين له كمدير، ثم بدأ في نطق الأسماء.

انتظر نادر الاسم الأول لكنه لم يكن من نصيبه فبدأ في التوتر، ثم ضاع منه الاسم الثاني هو الآخر فشعر بالغضب وتوقع خديعة مديره المباشر، وبعد الاسم الثالث قام بمليء كيس وتردد في فرقعته. حتى نادى المدير الاسم الرابع نادر إبراهيم الخولي فزاد توتره من السعادة وتسليط الأضواء عليه فقام بفرقعه الكيس في رأسه ثم هرول مباشرةً نحو المسرح. سلم المدير عليه ومالك الشركة، ثم سلمه مالك الشركة شهادة التقدير وشيك بعشرين ألف جنية.

وقبل أن ينزل نادر نادى المدير على الاسم الأخير وكان نيللي خليل عمر، فأخذت صاحبات نيللي يشجعنها: نانو .. نانو.. نانو.

ظن المدير أن الهتاف كان من نصيب نادر فقال له وهو في نهاية المسرح قبل نزوله: يا بختك يا سي نانو لديك هذا العدد من الصديقات.

ضجت القاعة بالضحك وقابل نادر ضحكهم بضحك مصطنع ليخفي خجله، ولكن المدير عندما وجد أنه أخيرًا أضحك الحاضرين تمادى في الأمر فقال لنادر: لهذا فزت بالجائزة يا نانو. فاستمر الحاضرين في الضحك بينما كان نادر قد غادر المسرح متجهًا إلى نهاية القاعة مع استمرار تردد اسم نانو فوق المسرح ولم يدري إن كان احتفالًا بنيللي أم تهكمًا منه.

دخل حمام المسرح وأخذ يخرج عدد من الأكياس من جيبه وأخذ ينفخها واحدًا تلو الآخر ويفرقعها في الحائط. توجه إليه أحد زملاؤه ليطمئن عليه، فأخذ ينادي عليه أمام الأبواب المغلقة داخل الحمام دون رد حتى سمع أصوات خلف باب طاخ .. طاخ .. طاخ

فوقف أمام الباب وحدثه: نادر. هل أنت بخير؟

خرج نادر فورًا ووجهه أحمر يغطيه العرق وقال له بأنفاس ثائرة تأخذ في الهدوء: أنا بخير، أنا بخير.

ثم اصطحبه وغادرا المسرح.

في اليوم التالي ذهب نادر إلى الشركة وهو متوجسًا من سخرية الزملاء منه

جراء موقف الأمس.

كان نطق حرف النون وسط الكلام(الحرف المتكرر في اسم نانو) يثير فزعه، أما داخل إدارته فكان الوضع مرعب تمامًا، فاسم نانو يتردد كثيرًا سواء إذا كان يقال إلى نيللي ، أو يُسرد ضمن الأساطير التي تقال عنها، أو يقال تهكما من نادر.

لم يتحمل أن يستمر الوضع هكذا، وأخذ يفكر في طريقة لإنهاؤه. فكَّر في الاستقالة، لكنه كان يخشى التغيير وتجربة شركات جديدة. لكن فكرة جديدة خطرت على باله لم يجد في أول الأمر أنها أكثر بشاعة من حالة الرعب الدائم التي تصيبه كل لحظة يعيشها بالشركة. والفكرة هي أن تُطرَد نيللي من الشركة، ومع الأيام لن يتردد اسم نانو ثانية.

فكر في أكثر من خطة لتنفيذ ذلك حتى وصل إلى أن يخفي شيئًا هامًا من داخل مكتبها حتى تتعرض للعقوبة والطرد بعد ذلك.

في يوم انتظر حتى رحل آخر موظف من الإدارة، ثم أغلق باب الإدارة وتوجه نحو مكتب نيللي وأخذ ملف من الدرج الأول على غلافه عنوان «حسابات شهر مارس». حدث ذلك يوم السابع والعشرون من مارس، والكل يعلم أن حسابات الشركة ترفع إلى مدير الإدارة في التاسع والعشرون من كل شهر ليوقع عليها بعد المراجعة.

أخذ نادر الملف ورحل، وعندما وصل بيته وضعه فوق مكتبه وقال بابتسامة ساخرة: هاقد بدأ مشوار النهاية يا نانو.

في اليوم التالي حضر نادر الشركة مترقبًا اكتشاف نيللي سرقة ملفها وسعيدًا لاقتراب نهاية قلقه المستمر من السخرية منه.

ظلت نيللي كعادتها تتنقل بين مكاتب زميلاتها وزملائها مثل النحلة تتحدث معهم وتضحك معهم، وظل مجموعة المتهامسين يتحدثون عنها وعن مغامراتها الدنيئة، ونادر يراقبهم ويقول: صبرًا صبرًا، قريبًا ستتطهر الإدارة من هذا الفساد.

(٤)

ظل يوم العمل يسير بشكل طبيعي حتى نهايته، عندما قامت نيللي بفتح درج

مكتبها لتراجع الملف لتسلمه إلى المدير في موعده في اليوم التالي.

ظلت تبحث في الأدراج مثل الإنسان الشره الباحث عن طعام فلم تجد شيء.

كان نادر عائدًا من صلاة المغرب ليجد عدد من الزملاء والزميلات يقفون حول مكتب نيللي وهي بينهم جالسة تبكي.

مشي خطوات متأنية نحو مكتبها ليلقي نظرة فضولية عما يقال منها أو ممن حولها، فوجدها في حالة يرثى لها. كانت المرة الأولى التي يطالعها فيها بتمعن، وجد أنفها شديد الإحمرار، وعينيها لم يكد يراهما من كثرة الدموع.

قالت إحدى الزميلات: لعلك نسيتيه فوق أحد المكاتب.

قال آخر: إن لم تجديه فسوف نكتبه لكِ من جديد

ردت بكلمات غير مفهومة لبكائها الحار المتواصل: كيف؟ .. غدًا .. موعد.. الملف للمديـ...

تفرق الجميع عنها للبحث عن الملف في كل مكان بالإدارة عدا نادر الذي وجد نفسه فجأة واقفًا أمامها وحيدًا وجها لوجه. شعر حينها أنه دُب جائع يتدلى من فمه فخذ غزال صغير، والغزال ملقى أمامه يتأوه من الألم.

عاد إلى مكتبه وأخذ يراقب نيللي تارة، وزملاؤه الساعون لمساعدتها تارة حتى شعر بالخجل والاستياء ورحل.

أثناء تأديته صلاة العشاء توقف عند تلاوة الإمام (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر) فقال في نفسه: ولكنني يا رب لم أحاسب أحد على أفعاله، فقط كنت أستعيذ بك منهم. كما أنني أوذيت منهم كثيرًا، ولم يساعدني ضعفي على التحمل أكثر من ذلك.

لم يستطع نادر أن يغلب ضميره، وقرر أن يعيد الملف في اليوم التالي. عندما ذهب إلى الشركة ومعه الملف عرف أن نيللي قدمت استقالتها ورحلت دون انتظار قرار من المدير أو طلب فرصة جديدة. فجلس حزينًا في مكتبه بينما تابعت شلة المغتابين كعادتها سرد أساطير جديدة حول نيللي فقال أحدهم: إن رجل أعمال كبير عرض على نيللي أن تعمل معه، ولكني لا أعرف ماذا ستعمل؟

قال صفوت بخياله الواسع: بالطبع ستعمل سكرتيرته الخاصة، لترتب الأمور مع العملاء المهمين.

قال آخر: سكرتيرته الخاصة، أنا لو مكانه سأجعلها سيارتي الخاصة، ولن يركب...

طاااخ

نظر الجميع تجاه مكتب نادر فوجدوه يقف أمامهم وعيناه تطلقان شرارات الغضب نحوهم.

ثم قال لهم بغضب: قسمًا بالله لو سمعت أحد منكم يتكلم عن الآنسة نيللي بسوء فسأؤكله هذا الكيس.

نظروا إلى بعضهم بتعجب من تصرف نادر، لكنهم سكتوا وتفرقوا في الحال.

أخذ نادر يفكر في طريقة ليصلح بها خطأوه الكبير. سأل زميلته من صديقات نيللي عنها فقالت: إنها في بورسعيد عند خالتها تأخذ راحة قليلة قبل أن تعود للقاهرة لتبحث عن عمل.

قال لها: عمل جديد؟ ترى أي أشقياء ستقع في فخهم هذه المرة؟

قالت له متعجبة: أي أشقياء؟

قال: الذين يبحثون عن النمش تحت ذيل الفرس.

قالت: أنا لا أفهم شيء.

قال محدثًا نفسه: يجب أن تعمل في مكان محترم حتى لا يتعرض أحد لسمعتها مرة ثانية. هذا واجبي نحوها الآن.

عند عودته للبيت اشترى عدد من الجرائد التي تنشر إعلانات فرصة عمل، وجلس على مكتبه وأخذ يبحث عن وظيفة مسئول حسابات، وقد توصل إلى خمسة شركات.

وفي اليوم التالي غاب عن عمله، وقام بزيارة الشركات الخمسة واحدة تلو الأخرى مرتديًا بذلته السوداء ذات الرابطة النبيتي. بدأ بالشركة الأولى حيث جلس أمام مسئول التوظيف في انترفيو، وسأله عدة أسئلة أجاد إجابتها جميعًا،

لأن نادر كان يعشق الحسابات منذ دراسته في المرحلة الثانوية.

وفي نهاية المقابلة قال له نادر: أنا لست متقدمًا لهذه الوظيفة لنفسي.

سأله المسئول مندهشًا: لمن إذًا؟

قال: لأخت تسكن بالقرب مني.

سأله المسئول: ولماذا لم تأتي؟

قال: إنها مريضة اليوم، عندها....

فكر نادر كثيرًا في حجة مقنعة مما أثار استياء المسئول فقال له باختصار: سوف نتصل بها.

بعدها توجه إلى الشركة الثانية، انتظر مسئول التوظيف الذي دخل مكتبه وهو يتحدث في الهاتف بصوت مرتفع قائلًا: لا لا، أنتِ كنت أجمل عندما صبغتي شعرك بالأحمر. كنت مثل شاكيرا في أحد كليباتها، أو عندما قمتي بقص أطرافه كنت تشبهين بريتني سيبرز.

ظل نادر يتأمله ويقول في نفسه: شاكيرا وبريتني؟ لا أظن أنها ستكون في أمان هنا.

وبمجرد أن أنهى المسئول كلامه كان نادر قد غادر المكتب.

أنهى نادر زيارة الشركات الخمس، ولكنه لم يجد فيها ما يناسب عفوية نيللي و فتنتها، فقرر أن يبحث عن شركات أخرى، وأثناء بحثه في الجرائد كان أمامه ملف نيللي الخاص بالشركة، فأمسك به وأخذ يتفحصه، فوجد فيه أخطاء وهفوات كثيرة قام بإصلاحها، ثم قرر أن يعيد إليها الملف ويذهب إلى المدير ويعترف له بكل شيء.

قال: ربما كان كل ما أخشاه هو التعرف على شركات جديدة، وهاقد تعرفت عليها فإذا طردوني فسيكون سهلًا أن أبحث عن عمل في أي منها، أو أعود إلى المسئول الذي كان يتحدث عن شاكيرا. أتذكر أنني في الإعدادية كنت معجب بشاكيرا، يبدو أن بيني وبينه شيء مشترك وسوف نرتاح في العمل سويًا. اللهم عافنا من هؤلاء.

(٥)

في اليوم التالي توجه إلى إدارة الموارد البشرية بشجاعة وفي يده ملف نيللي، وطلب مباشرة عنوانها، ثم توجه إلى بيتها ووقف أمامه مترددًا الصعود إليها أو الانتظار. أوقفه حياءه وقرر عدم الصعود. بعد أربعة ساعات نزلت نيللي من بيتها وكان نادر جالسًا على الرصيف يقلب ببصره في شارعها، وعندما رآها وضع الملف على وجهه، ثم تذكر أنها قد تعرف شكل الملف، فأخفاه وراء ظهر وتنكر بإخفاء لحيته بيديه.

مرت أمامه دون أن تراه، فتبعها ليعطيها الملف ويعتذر عن فعلته، لكنه وجد أنها تتعرض لمضايقات من الشباب في الشارع حيث إنهالوا عليها بكلمات الغزل: ما هذا القمر الذي يسير في الشارع» ، «يا أرز بالمهلبية» ، «يا شعرك البُني يا فرس».

قال لهم نادر في نفسه: حمدًا لله أنكم لم ترون النمش الذي خلفه.

اقترب أكثر من نيللي حتى لا يتعرض لها أحد باللمس، وبدأ غضبه يزداد حتى لم يحتمل، فأخذ يخرج الأكياس من جيبه وينفخها ويفرقعها في يده الأخرى.

سمعت نيللي صوتًا غريبًا خلفها فشعرت بالخوف فنظرت خلفها نظرة خاطفة، لتجد نادر منهمكًا بنفخ كيس جديد دون أن يلتفت إليها.

قالت: الشيخ نادر؟ ماذا يفعل هنا؟ ولماذا هو غاضب؟ هل يريد أن يفجرني؟ أم هناك أمر ما؟

دخلت في شارع جانبي، واختبأت خلف العمارة الأولى وبمجرد أن دخل نادر في الشارع ومشى قليلًا خرجت من خلفه منادية عليه: شيخ نادر.

فزع نادر ونظر خلفه فوجد نيللي أمامه مباشرةً تلعثم ولم يرد. قالت له: لماذا تمشي ورائي؟

حينها مر أمامهما شابين من الذين كانوا يتعرضون لنيللي. أطبق نادر حاجبيه وحدَّق بعينيه بغضب نحو الشابين وهو يمسح بيده فوق لحيته بتروٍّي، فأسرعا بالمشي بعيدًا.

ثم أدار وجهه نحو نيللي بنفس النظرة وسألها: هل أبدو مخيفًا؟

ضحكت نيللي وقالت له: في الحقيقة مخيف جدًا.

قال لها: أحب تقليد هذه النظرة من الملتحين الذين يظهرون في الأفلام المصرية. هل يتعرض هذين الشابين لك يوميًا؟

قالت له: للأسف وغيرهما.

قال لها: من الآن لن يتعرض لك أحد.

قالت وهي تبتسم ابتهاجًا: لماذا؟

قال بنفس النظرة الغاضبة: لأنني سأقتل من يؤذيك بعد ذلك؟

قالت له: لماذا تحبون العنف؟

عاد إلى الملامح الجادة وقال لها: من نحن؟

رمقت لحيته بنظرة خاطفة ففهم مقصدها وسألها: لماذا تقولين ذلك؟

قالت: لأنك كلما غضبت فجرت كيس بلاستيكي.

قال: صحيح أنا سريع الغضب وطريقة تخلصي من غضبي غريبة، ولكن هذا أنا وليس نحن. وهناك طرق أخرى غريبة يقوم بها الغاضبون للتخلص من غضبهم مثل تكسير أي شيء أو ضرب رؤوسهم في الحائط. أنا أنتمي للغاضبين غريبي الأطوار، وأنتمي للملتزمين، ولكن ليس كل هؤلاء ينتمون لهؤلاء. إنها فقط أساطير تحاك حول الإنسان المختلف عن الآخرين، ربما لأنه أفضل منهم، أو أقل منهم، أو يرفض المشي في ركابهم. إنها أكاذيب على كل حال.

قالت: أنا غالبًا لا أصدقها.

قال: أنتِ أفضل مني، فأنا غالبًا أصدقها رغم أن من واجبي أن أتبين الخبر وأتحرى صحته قبل أن أصدر حكمًا. هل تعرفين من أكثر شخص حيكت حوله الأساطير وصدقتها؟

قالت: من؟

قال: أنتِ. بدءً من سيارات الغرباء التي تركبينها حتى حقيبتك المنتفخة. هلا سامحتيَ تطفلي وأخبريتني بسر انتفاخها؟

قالت: أحمل فيها بعض الملابس.

شرد نارد عن الوعي إلى الكلام الذي قاله الشباب عن خلعها لملابسها.

فتابعت: ملابس أطفال قديمة، آخذها من أخواتي المتزوجات، وأوصلها لشخص ما في الشركة وأرغب ألا يراها أحد، و أرجوا ألا تخبر أحد.

التقط نادر نفسه وقال لها بندم: أنا آسف ثانية.

قالت: لا عليك. أعرف أن الكثير من الاساءات يقال عني.

قال: وماذا تفعلين؟

قالت: لا شيء.

قال: بل تهربين إلى أحلام اليقظة بأنك قد انتصرتي على هؤلاء الأشرار، أو تحترقين داخليًا جراء البركان الذي أثاره هؤلاء بداخل نفسك دون أن يتعرضوا حتى لدخانه، أو تهاجمينهم بشراسة خلف الشات وعلى مواقع التواصل.

قالت: وماذا أفعل غير ذلك؟

قال: صراحةً لا أعرف، ولكن بديهيًا من يتعرض لهجوم يقف في مكان آمن. أقصد أن تغلَظي خط الحدود بينك وبيننا، ولا تسمحي لأي عابر أن يقتحم حرمك ويتجول فيه كما يشاء.

تردد نادر قليلًا ثم قال لها وعينيه مثبتتان في الأرض: حاولي ألا تظهري النمش لأنه يثير الانجذاب خاصةً في منطقة الرقبة.

أمسكت نيللي برقبتها بشكل عفوي، ونظرت نحو الأرض ولم ترد.

تابع نادر: لأنها أكثر ما ماكانوا يتحدثون عنه.

رفع عينيه نحوها ثانيةً وقال لها: لقد أخطأت في حقك وعلي أن أعتذر.

قالت: كيف؟

حكى لها نادر كل شيء وأعطاها الملف وحكى لها عن تقدمه للشركات بحثًا عن عمل لها. فلم تجد بد من مسامحته وقالت له: أنا على كل حال لم أنوي أن أعود إلى للشركة مرة ثانية، فقد رأيت فيها الكثير، وأخذت جائزة أعلم أنني لا أستحقها لأني فاشلة في المحاسبة. فشككت أن المدير يعجبه شيء غير أدائي في العمل، وأشكرك أنك نبهتني إليه. إنه النمش.

قال لها: أنتِ جيدة في المحاسبة، فقط ينقصك بعض المهارات في المعادلات الحسابية.

قالت له: كيف عرفت؟

قال: لقد راجعت ملفك وعرفت منه ما تملكين وما تفقدين من مهارات. ويفضل لو تمرنتي على المعادلات قبل أن تبحثني عن عمل آخر. ويفضل لو كنت واسعة الاطلاع حتى تعرفين الحياة جيدًا وتجيدين فهم الناس.

قالت: أنا لا أحب القراءة، حيث قرأت كتبًا صعبة عقدت بداخلي عقدة كبيرة نحو القراءة.

قال لها: هنا مكمن الخطأ، بل اقرأي كتبًا سهلة.

سألته: مثل ماذا؟

قال لها: أعرف رواية جميلة قرأتها عدة مرات ولم أمل منها اسمها «حبنا في الله يدوم» بين قوسين (قصة منتقبة وملتحي).

لم تتفاعل نيللي مع اسم الرواية ذو الطابع الديني، لكنها ظلت تومىء برأسها للإيحاء بالمتابعة، مع ابتسامة خفيفة لتوحي بالتفاعل مع حوار نادر.

أخذ يحكي لها قليلًا من أحداث الرواية وهو يوصلها إلى حيث تذهب (ظل حب مصطفى الشاب الملتحي لرقية الفتاة المنتقبة القصيرة مستمرًا بنفس القوة بعد زواجهما. وبعد ثلاث سنوات كانت ابنتهما سارة قد بلغت الثلاث سنوات. كانت سارة وقت الصلاة ترتدي خمار أمها ويغطيها الخمار بالكامل، فيكاد والديها يضحكان أثناء صلاتهما ويظلان يدعوان الله لها بالبركة في سجودهما. وبعد عامين بدأت سارة تحفظ القرآن، وكان هذا اليوم مميزًا فقط أمطرت السماء على الطعام أثناء جلوسهم في حديقة عامة في....)

طاااخ طاااخ طاااخ

المرآة

ساعة كاملة قضاها يحملق في المارة بإمعان شديد كأن طفله شرد عن يده وضاع وسط الزحام. لكنه لم يكن يبحث عن طفل، بل كان في انتظار مشرف مواقع الأمن الذي أخبره منذ ساعة ونصف بوصوله إلى الموقع بعد نصف ساعة.

أخذ راضي سعيد فرد الأمن الخاص بإحدى محلات الحلوى الكبرى يجهز الكلام الذي سيقوله للمشرف بشأن طلبه الانتقال لموقع آخر.

قال: سأقول له أنني التحقت بكورس انجليزي ولا أستطيع المذاكرة في الشارع هكذا، وأريد الانتقال إلى موقع هاديء، أو أن عمال المحل يعاملونني معاملة سيئة جدًا، أو أنني أريد الانتقال والسلام وإلا سأقدم استقالتي فورًا. يجب أن يتم ذلك قبل حضور تلك الزبونة مرة ثانية وتراني وتقدم شكوى ضدي لإدارة المحل.

فمنذ يومين كانت سيدة تقف أمام المحل وتشاهد الحلويات في الفاترينة وهي تتحدث في الهاتف، كانت حقيبة يدها مفتوحة بعدما أخرجت الهاتف منها. حينها وجد راضي الفرصة سانحة ليمارس عادته، فاقترب برأسه من السيدة التي اكتشفت وقوفه بشكل مريب بالقرب منها و رأسه ممدودة نحوها، فأنهت المكالمة فورًا ونظرت إليه بمقلتين متوهجتين مثل الجمر وقالت له بغضب: ابتعد أيها الحقير.

تفاجيء من هجومها وقال لها بتردد: أنا..أنا..لست..

نظرت إليه من أعلى إلى أسفل وقالت له: سأفوت هذه المرة، ولكن لن يكون هناك مرة قادمة، لأنني إن رأيتك هنا ثانيةً سأبلغ إدارة المحل بفعلتك.

أخيرًا وصل مُشرف المواقع بدراجة نارية، قام بركن الدراجة في مكان بعيد كعادته ليراقب أفراد الأمن من بعيد. حينها كان راضي يحملق في الناس باحثًا عن ملامح يعرفها خاصةً ملامح المُشرف. اقترب منه وأمسك بكتفه من الخلف ليلتفت إليه راضي مفزوعًا، قال له فورًا وهو يختلق ملامح عابسة: لو سمحت يا ريس. أريد الانتقال من هذا الموقع فورًا.

قال له المشرف بضحكة ساخرة: لماذا؟ أضربتك إحداهن بحقيبتها على رأسك

لأنك أقحمت رأسك في رأسها؟ أمازلت تعاني من هذه العادة؟

قال راضي: لقد جعلني هذا الموقع أدمنها يا ريس. غصبًا عني لا بكيفي.

قال المشرف: لا أعرف ما المتعة في أن تتصنت على الناس وتسمع ما يقولون في الخفاء؟

قال راضي: لا أعلم. ولكنني منذ أن عملت هنا وجلست على هذا الكرسي أمام المحل والزبائن يقفون بجانب أذني ويشاهدون الحلوى ويظلون يقولون كلامًا عجيبًا ينم عن حكايات أراها مثيرة.

سأله المشرف: كيف؟

أجاب راضي: ذات مرة كانت امرأة و ابنتها الشابة تقلبان بعينيهما في الجاتوه وتتحدثان بصوت منخفض عن هيثم وأسرته وأمه التي لا يملىء عينها إلا التراب، ثم دخلتا واشترتا دستتين ونصف، وقالت الأم وهي تربت بيدها على ظهر ابنتها: كله من أجل عينيك يا حبيبتي. وأحسن من أن تضيع الجوازة.

وأخرى أخذت تبحث في حقيبتها عن شيء ثم قالت بصوت منخفض وهي تنظر ناحية كاشير المحل: سأحاول أن أشتري قطعتين فقط، على الله أن يوافق. وبعدها خرجت مُقفلة الوجه خاوية اليدين.

ودخل يومًا رجل يرتدي بذلة سوداء أنيقة ونظارة سوداء كبيرة، ومعه رجل آخر يرتدي قميصًا أصفرًا باهت اللون وبنطلون قماش أسود يبدو أنه خادمه أو سائق سيارته، ولما خرجوا من المحل وفي فم الباشا سيجار مشتعل وفوق رأس الخادم جبل من علب الحلوى متعددة الألوان قال الباشا: حتى نكسر عينيهم ونعرفهم من نحن.

في البداية يا ريس كانوا يتحدثون بجانبي فأسمعهم دون رغبة مني، حتى صرت أبحث فيما يتحاورون. حتى أن الزبون الذي يقف أمام المحل صامتًا يثير عصبيتي ويشعرني برغبة في إكراهه على الكلام. لقد فكرت يومًا أن أطلب من الشركة كلب حراسة ليساعدني في إرهابهم لإجبارهم على الكلام.

قال المشرف: الناس أسرار يا راضي. ولا يجرؤ أحد على البوح بأسراره للآخرين حتى ولو كانت تافهة.

قال راضي: ولكن معرفة الأسرار أمر ممتع يا ريس، إنها تدل على الحقيقة، حقيقتي وحقيقتك، ومن لا يحب أن يعرف الناس على حقيقتها؟

قال المشرف: لكنه فضول بغيض، لأن السر ستر من الله.

قال راضي متلهفًا: لا لا يا ريس. أنا أسعى بذلك في الخير.

سأله المشرف: كيف يا حكيم زمانك؟

قال راضي: عندما أكتشف من كلام الزبائن أنهم بحاجة إلى مساعدة أو مال أساعدهم إن استطعت، أو أوصي عليهم أصدقائي من عمال المحل. وإذا اكتشفت رجل فاسد لا ألتفت إليه ولا أفضحه.

قال المشرف وهو يبحث عن مفتاح دراجته وسط سلسلة مفاتيحه: حسنًا يا راضي. غدًا ستذهب إلى موقع آخر، أظن أنه يتوافق مع حسك الفضولي العالي.

سأله راضي بإلحاح وشغف: حقًا يا ريس؟ كيف ذلك؟ أخبرني يا ريس أين هو؟

قال له وهو يعبر الطريق: انتهى وقتك معي يا راضي. غدًا اذهب إلى قصر ثقافة العمرانية، وبقية التفاصيل سيخبرك بها المدير المسؤول عن القصر.

في اليوم التالي كان راضي حاضرًا في موعده في مكتب مدير قصر ثقافة العمرانية د.إبراهيم الشريف، بعد أن رحب به وطلب من الجلوس وسأله عن مشروبه قال له: اسمع يا راضي. لدينا مشكلة تتكرر في العام حوالي ثلاثة أو أربعة مرات، وأظن أننا نحتاج إلى رجل أمن خبرة ليساعدنا في حلها.

قال راضي: ما هي المشكلة سعادتك؟

قال د.إبراهيم: لجنة التحكيم.

ثم قام من مكتبه وتابع وهو يمشي في الغرفة: كل شهرين يقيم قصر الثقافة مسابقة للمواهب الفنية في الغناء والعزف، ولكننا اكتشفنا حالات رشاوى ومجاملات داخل لجنة التحكيم، حيث كانت تقوم بمنح الجوائز لمواهب ضعيفة، وترفض مواهب قوية. حتى إننا أتينا ذات مرة بلجنة تحكيم من بلاد أخرى لا صلة لها بالمتسابقين، ولكن يبدو أن الاتفاق يجري هنا.

قال راضي: وما دور رجل الأمن في اكتشاف ذلك؟

قال د.إبراهيم: أعضاء لجنة التحكيم يجلسون في غرفة الضيوف، وفيها يتداولون أمرهم بشأن أعمال المتسابقين وعيوبهم، ويتفقون حول الفائز. ونحن سنراقب هذه الغرفة.

قال راضي: هل ستضعون كاميرات في الغرفة؟

قال د.إبراهيم: لا. قد يُكشف الأمر. بل سنضع مرآة.

قال راضي: مرآة؟ كيف؟

قال د.إبراهيم: سنضع مرآة لها وجهين، وجه يرى فيها الشخص نفسه، وفي الوجه الآخر نراه نحن وهو لا يرانا.

قال راضي: أي سنراقبهم من خلف المرآة.

قال د.إبراهيم وهو يربت على كتفه: بالضبط. وهذا هو دورك يا بطل. وإذا اكتشفت شيئًا مريبًا أخبرني به ساعة حدوثه.

ثم اصطحبه إلى الغرفة التي تقع خلف المرآة، وكانت عبارة عن غرفة صغيرة جدًا بها كرسي ومنضدة عليها مروحة صغيرة.

قال د. إبراهيم لراضي: استعد يا راضي، فالمسابقة ستقام بداية الأسبوع القادم.

شعر راضي بالسعادة، وأحس أنه في المكان المناسب، وصار متشوقًا لموعد وصول لجنة التحكيم.

في يوم المسابقة وقف راضي مع بعض الموظفين أمام باب قصر الثقافة لاستقبال أعضاء لجنة التحكيم، وكانوا رجلين وامرأة. نزلوا من سيارة مرسيدس فخمة مرتدين بذلات أنيقة وأحذية سوداء لامعة ونظارات سوداء. رحب بهم الموظفين بابتسامة موحدة عريضة، وانهالوا عليهم بكلمات الترحيب المعتادة، وكان ردهم بكلمة واحدة: شكرًا. مع التفات بسيط برؤوسهم نحو صف الموظفين.

دخل أعضاء اللجنة قصر الثقافة ثم تبعهم السائق ومعه ثلاثة حقائب ثقيلة خاصة بهم. أخذ السائق يسرع في مشيته حتى يلقي بتلك التهم الثقيلة في

الداخل ويرتاح.

جلس أعضاء اللجنة في غرفة الضيوف، وهرع راضي إلى مكانه خلف المرآة.

في البداية جلسوا جميعًا في هدوء ثم خلعوا نظاراتهم وأخذوا ينظرون لبعضهم في صمت حتى دخل د.إبراهيم وسلم عليهم بحرارة شديدة فردوا سلامه بحرارة مماثلة بعكس سلامهم مع الموظفين في الخارج.

تحدث معهم د.إبراهيم بشأن المسابقة وجوائزها والمتسابقين، وكذلك بشأن مكافآتهم، وقال لهم: لا تنسوا سيادتكم أننا نسعى لاختيار الأفضل من بين المتسابقين. ثم أخبرهم ببدء المسابقة بعد دقائق.

خرج د.إبراهيم ودخل عامل البوفية حاملًا صينية فوقها ثلاثة أكواب عصير. شرب كل واحد منهم رشفيتن بتأني واشمئزاز ثم أعادوا الأكواب إلى مكانها.

أخذ راضي يراقبهم من خلف المرآة دون أن يلاحظ عليهم أي سلوك مختلف. وبعد دقائق دخل أحد الموظفين ليخبر اللجنة بالتوجه إلى قاعة المسابقة.

جلس الأعضاء الثلاثة على مقاعدهم فوق منصة التحكيم وخلعوا نظاراتهم، وقام د.إبراهيم بتقديمهم: في بداية المسابقة، نرحب بضيوفنا الكرام وأساتذتنا الكبار الملحن الكبير الأستاذ شعبان ثابت، فضجت القاعة بالتصفيق.

ونجمة الغناء العربي الفنانة نوال جبر، فضجت القاعة ثانيًا، وأستاذ الشعر المعاصر دكتور فتحي عبد المولى، فضجت ثالثًا.

تابع د.إبراهيم: وكما تعودنا كل شهرين إقامة قصر ثقافة العمرانية مسابقة فنية كبيرة تضم كل أبناء مصر، وكما تعودنا أيضًا....

قاطع أحد الموظفين د.إبراهيم بالهمس في أذنه قائلًا: الحجرة التي بها الجوائز مغلقة، ولم نجد مفاتيحها.

قال له د.إبراهيم بغيظ مكتوم ووجهه نحو الجمهور: كيف لم تخرجوها حتى الآن؟ فالحين في اللعب والنوم فقط.

ابتسم د.إبراهيم في وجه الجمهور قائلًا بابتهاج: حسنًا. لأن المواجهة الليلة ستكون ساخنة، سنبدأ المسابقة بمشروب بارد سينزل لكم فورًا، وبعد عشر

دقائق ستبدأ أول موهبة في الانطلاق.

ضج الجمهور بالتصفيق والصفير سعادةً بالمشروبات المجانية، وارتدى أعضاء لجنة التحكيم نظاراتهم استياءً. أما د.إبراهيم فذهب لفتح الغرفة وإحضار الجوائز.

أشار الملحن شعبان ثابت لأحد الموظفين فوقف بجانبه وتحدث معه، ثم اصطحبه إلى غرفة الضيوف وتركه فيها وحده.

كانت غفوة خفيفة أصابت عين راضي حتى أيقظه صوت غريب يشبه صوت شخير سائق ميكروباص منهك من التعب، فنظر داخل الغرفة بسرعة فوجد شعبان يشرب كوب العصير بشراهة محدثًا ذلك الصوت.

أخذ يتجول في الغرفة ويمسك بقطع التحف فيها ويطالعها بتركيز، ووقف أمام علبة مناديل فأخذ منديل وشمه وقال: هاااه رائحة جميلة.

ثم أخرج منها عدة مناديل ووضعها في جيبه، ثم نظر فجأة إلى المرآة، ففزع راضي وأخذ قلبه ينبض بقوة.

اقترب ببطء نحو المرآة وهو ينظر إليها باستغراب شديد رافعًا حاجبه الأيمن ومهبط الأيسر، ثم بدلهما، ثم أخذ يبدلهما سريعًا حتى وقف أمام المرآة ونظر إليها بغضب.

ابتسم راضي لشعبان يقينًا منه أنه اكتشف أمره وقال في نفسه: سامحك الله يا د.إبراهيم، لقد وضعتني في موقف محرج بمرآتك هذه.

فجأة ضحك شعبان مشيرًا بسبابته نحو المرآة قائلًا: هاهاها. أنت. أنت. لقد عثرت عليك أيها العربيد.

ثم فجأة غضب وقال: أي عربيد أيها الصعلوك، ألا تعرف إلى من تتحدث؟

ضحك ثانية وقال: بالطبع أعرفك، أنت العربيد الأقرع.

ثم غضب وقال: اخرس أيها الضائع. ألا ترى الشعر الكثيف الذي يغطي رأسي؟

ضحك ضحكة ساخرة وقال: أراه ولكنها.

غضب وقال: ولكنها.

ضحك وقال وهو ينزعها عن رأسه: باروكة.

كان راضي ملقيًا على الأرض من الضحك، وقد أصابه العرق الغزير من كثرة اجتهاده في كتمان ضحكه.

ثم طل بعينيه من أسفل المنضدة نحو المرآة ليواصل مراقبة شعبان، فوجده يضبط باروكته فوق رأسه ويرتدي نظارته ويعود إلى مظهره الوقور، ثم اقترب كثيرًا من المرآة، وأخذ يضحك قائلًا: الآن. أنا لا أعرفك أيها العربيد.

ثم عاد إلى وقاره وخرج. خرج وراءه راضي وأخذ يراقب شعبان وهو يمشي وقورًا، وأخذ راضي يضرب كفًا بكف. لكنه قال: لا بأس. جميعنا بداخله هذا التافه الذي لا يظهر إلا في عزلة عن التافهين الآخرين.

ولم يسنح له الوقت للتطلع في شعبان أكثر من ذلك، فقد نزل د. فتحي متوجهًا نحو الغرفة، فمسح راضي كفيه في بعضهما من الإثارة وأسرع بالدخول إلى الغرفة.

شرب د.فتحي العصير بنفس الشكل، وأخذ يطالع أيضًا أثاث الغرفة وقطع التُحف. ثم توجه نحو المرآة ونظر إليها بإمعان، فأشار إليه راضي من خلفها بيده لعلمه بعدم رؤية فتحي له. قال فتحي وهو شارد في النظر إلى نفسه: لقد كبرت كثيرًا يا أبو البنات وشاب شعرك وتملكت التجاعيد من وجهك.

أخذ يطالع تجاعيد وجهه في المرآة ويقول بحزن: إنها الملامح التي يفضلها الموت، ويظل يدنو من صاحبها كلما زادت انكماشًا وتدليًا. وكأن ملك الموت يقف خلف تلك المرآة منتظرًا أن تشيب شعرَة إضافية في رأسي أو تسقط سنَّة واحدة من فمي.

تراجع راضي عن المرآة مفزوعًا، ولم يستطع مواجهة النظرات البائسة المسددة نحوه من عين فتحي.

قال فتحي وهو ينظر لنفسه من أعلى إلى أسفل: تبًا لهذا الصرح الشامخ الذي يهيب الناس ويخشى أن ينظر في عين واحدة من بناته. وكيف أنظر إليهن وأنا لم أستطع شراء ملعقة في جهاز واحدة منهن، فمن سيرضى أن يتزوج فتاة

تجاوزت الـ ٢٨ عام وبلا جهاز؟ وهي رغم ذلك تتعمد خداعي بأداء هزيل وتتظاهر بالرضا وتقول لي: لسه بدري يا بابا. يعني هشيل الهم بدري.

ظهر أمام راضي شيء لامع في عيني فتحي، فاقترب ليكتشفه ويتأكد إن كان دموعًا كما ظن، ولكن فتحي ارتدى نظارته ومشي نحو باب الغرفة منحني الظهر بطيء الخطوات ثم خرج.

خرج راضي من غرفته ليراقب فتحي مباشرة، فوجد فرقًا كبيرًا بين الشخص المنكسر أمام المرآة والشخص المتماسك أمام الناس، حيث كان يسير نحو المنصة معتدل الظهر ثابت الخطوات حتى وصل إلى كرسيه.

قال راضي: والآن جاء دورك يا سيدة نوال. تفضلي.

بالفعل نزلت نوال من المنصة ودخلت الغرفة، ونظرت تجاه الأكواب فوجدت كوبين فارغين فقالت: شربتم العصير يا مفاجيع.

ثم أخذ كوبها وشربته بنفس الطريقة، وأخذت تتجول في الغرفة حتى جائتها مكالمة فردت: ألو. أيوا أنا الفنانة نوال جبر. ميرسي يا حبيبتي لذوقك. بس رقمي دا مش مع المعجبين، وصلتي ليه إزاي؟

ثم أطلقت ضحكة كبيرة فيها غلظة وقوة وقالت: يا بنت العفاريت. ماشي يا صباح. بتشتغلي أمك يا بت؟

ثم خلعت حذائها ومشت في الغرفة حافية القدمين وسألت صباح وهي تفرك رأسها: ازيك وازي أبوكي؟ ايه؟ مش عايز يديكي فلوس؟ قوليله يا فرغلي يا ابن مسكتة لم نفسك أحسن ما انتا عارف هعمل فيك ايه!

ثم وصلت إلى المرآة وقالت لها: ايه رأيك في أغنيتي الجديدة «حضن الغريب».

ثم أطلقت ضحكة كبيرة بدت فيها لراضي أسنانها الصفراء، فعاد إلى الخلف واضعًا يده على أنفه وفمه كأنه تخيل رائحة كريهة.

أنهت المكالمة وأخذت تضبط مكياجها وهي تقول: يا سلام عليكي يابت يا نحمدوا، قمر. فين أيام زمان لما كنت بطلع على المسرح في مولد سيدي الأحمدي وأولع المولد غنا ورقص. كان بس اسم نحمدوا مخيمر لما يتقال الكل يقف على رجل.

اقترب راضي من المرآة وأخذ ينصت إليها وإلى اعترافاتها. عادت إلى منتصف الغرفة التقطت حذائها من الأرض، وتقدمت نحو المرآة وأخذت تصفق بحذائها وهي تغني وتتمايل: «كايدة العزال أنا من يومي»، ثم أطلقت زغرودة كبيرة شعرت بعدها أنها تجاوزت الحدود، فارتدت حذائها ونظارتها وخرجت في وقار.

قال راضي في عجب: من نوال إلى نحمدوا؟ حقًا السر ستر من الله كما قال المشرف.

عاد د.إبراهيم ومعه الجوائز وبدأت المسابقة فورًا. ترك راضي الحجرة و تابع المسابقة ود.إبراهيم ينظر إليه بقلق طوال الوقت.

تقدم المتسابقون وعرض كل منهم موهبته. كان لدى أحدهم موهبة واضحة في العزف على الكمان فأشادت به لجنة التحكيم خاصة نوال جبر التي قالت له: موهبتك كبيرة، ويا بخت اللي هتصحى كل يوم على ألحانك.

وقد فاز الشاب بالمركز الأول، وفازت فتاة صوتها جميل بالمركز الثاني، والمركز الثالث كان من نصيب فتاة تلعب على البيانو بمهارة.

قبل تسليم د.إبراهيم الجوائز للفائزين انطلق إلى راضي وقال له: قل لي بسرعة. هل لاحظت في لجنة التحكيم شيئًا غريبًا ؟

قال راضي: إطلاقًا. فقط بعض أشكال التجمُّل المشروع اجتماعيًا. وإن كان التخلي عنه لن يؤثر إن صَلُح الناس.

لم يفهم د.إبراهيم كلامه، ولم يملك الوقت للتفكير فيه، فقال له: المهم أن اللجنة عادلة وليست مرتشية.

قال راضي: إطلاقًا.

انطلق د.إبراهيم نحو المنصة وقام بتسليم الجوائز على الفائزين وشهادات التقدير على أعضاء لجنة التحكيم الذين بدت عفويتهم وبساطتهم وسط الأجواء الاحتفالية بعكس تحفظهم في البداية.

وقف الشاب الفائز وسط أصحابه ومعه الجائزة، وأخذوا يثرثرون في الخفاء بالقرب من راضي، فعاد راضي إلى عادته المعهودة وجذبه الفضول لمعرفة فيما

يتكلمون، فوقف خلفهم ليسمعهم.

قال الشاب: أرأيتم كيف كانت أستاذة نوال تشيد بي؟ لقد سمعت أن لديها ابنة شابة؟ ما رأيكم إن طلبت الارتباط بها؟

قال له راضي بنبرة اندهاش: صباح !!

فنظروا إليه متعجبين ولم يردوا، فتابع راضي محاولًا الخروج من مأزقه: مدام نوال صوتها قريب من صوت الفنانة صباح.

قال له الشاب مجاملًا: نعم قليلًا.

قال له راضي: في الحقيقة أريد أن آخذ معك وجائزتك صورة سيلفي. تعال في هذا المكان المضيء لو سمحت.

ثم أخذه بعيدًا عن أصحابه وقال له وهو يرفع هاتفه لأعلى: سأقولك لك شيئًا ولا تسألني كيف عرفت؟

أنصت الشاب وتابع راضي: إذا أردت نسبًا جيدًا يليق بك وبأهلك فناسب د.فتحي عبد المولى، إنه رجل محترم ولا يخفي أخلاقًا ذميمة. أما نوال جبر فهي امرأة جيدة لكنها وابنتها لا تليقان بك.

قال الشاب: هذا ما قاله لي أصدقائي أيضًا. ربما هي تبدو عفوية قليلًا ولكن...

قاطعه راضي وهو يشير نحو المنصة: انظر حماك يتعثر في النزول من المنصة. اذهب إليه وخذ بيده.

تقدم الشاب بخطوات مترددة فجذبه راضي من ذراعه وقال له: بالمناسبة. اطلب يد ابنته الكبرى فإنها أصيلة.

أومأ الشاب برأسه لراضي مع ابتسامة توحي بالسعادة، ثم تقدم نحو المنصة ومد يده إلى د.فتحي الذي ابتهج عندما رآه أمامه، ثم نزلا من فوق المنصة، وسارا في القاعة وهما يتحدثان ويضحكان حتى خرجا.

بعد نهاية المسابقة استضاف د.إبراهيم راضي في غرفة الضيوف، وأخذ يشكره ويثني على دوره. وفجأة لاحظ راضي خصلات شعر من باروكة الملحن شعبان

ثابت على الكرسي المجاورٍ له، فقام بالانتقال فورًا إلى الكرسي ليخفي الخصلات.
قال له د.إبراهيم مشدوهًا: هل هناك مشكلة؟

قال راضي: لا. فقط لم أشعر بالارتياح على هذا الكرسي.

ثم قال في نفسه وهو يبتسم في وجه د.إبراهيم: لقد أدمنت ستر أسرار الناس كما أدمنت سماعها.

تم بحمد الله

إلى اللقاء مع الجزء الثاني
للتواصل مع الكاتب

mazenmersal@gmail.com

***

الفهرس

الضيوف المزعجين..... ٧

البوكسر الذهبي.....١٥

ما الشيء الذي تخفيه مريم؟ ٢٣

تبرعوا لمدينة جولدن لاند ٣١

نهى سهى ٣٨

العائلة ٤٥

ضحى و الجد المسكين ٥٨

كلنا أبو المعاطي ٧١

نيللي والشيخ نادر ٧٩

المرآة ٩٤

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail.com

Facebook .Com/Fasla .Pub